

را بو لير



مكتبة بغداد

@BAGHDAD_LIBRARY

ج.ج.ع.ح

Editions Grasset, Paris
جميع الحقوق محفوظة

twitter @baghdad_library

مُؤْرِّيْسْ جِنْهُوْ

من إلْزَاكا دِيمِيَة الفَرْنَسِيَّة

رَابُولُو

رَوَايَة

نَقْلُها إِلَى الْعَرَبِيَّةِ

مُتَرَّيِّشِمَانْ

الْجَنْسُورَاتُ لِلْعَرَبِيَّةِ

مكتبة بغداد

@BAGHDAD_LIBRARY

ج.ج.ع.ح

twitter @baghdad_library

القِسْمُ الْأَوَّلُ

١

لا يزال السد مفتوحاً منذ البارحة . والمياه تتدفق فتعلو
صفحتها فقاعيًّع لامعة الجوانب ، تتحوّل إلى اهتزازات تجيش
ثم تهدأ حتى تلوح في شبه جمود لتنابع انتظامها . وكانت بعض
وريقات الشجر الجافة او بعض وريقات الحيزران اليبيسة
تقرب ببطء ، مدفوعة بميل لا يقهـر ... وتتعذّـى سرعتها
رويداً رويداً ثم تصادم فجأة وتهوي في انزلاق جنوبي .

رَأْبُولُوْلُ

تحت الجسر الشلال راح يضج . والمياه تجري من اسفل حدور عشايب فتسيل رشيقه وحلاة في المروج . وساقية بوشبراند لا يبين منها إلا قنوات الحيزران وعرانيس البركية الخملية التي اضفت عليها المياه ثوجات تتد وتطول حتى البعيد . . .

تدفقت المياه من السد طوال الليل وببلغ خريتها مسامع الحفيرون في قبة النائم قرب النافذة . وكثيراً ما ايقظه الحرير فوعى ، فجأة ، الاشياء العاديّة : خرور كلبه بيلون في شنيله ، اصطدام أربب يتضجر بجوانب قفصه ، رفيف اجنحة دجاجة في الحم او تدرج في القفص ... كان يشيع في البيت كله جوًّا أليف عائلي .

وقالمت زوجه تازى في سريرها فقال لها :

- المياه تتدفق ... الغدران امتلأت ... لا شك ان ذلك سيطول ... هيَا اسمعي ... المياه تتدفق !

رَابِّ الْبَوْلِبُولِ

وأدارت تازى رأسها مثنائية حامنة وراحت تدفن رأسها
في قعر ذراعها ...

وشرع تورنيفيه يحدث نفسه :

— اول امس في بات دوا ، عجزت الفرقه بكاملها عن صد
المياه المتتدفقة حتى غمرت الطريق ... وخلفت وراءها حفرأ
تؤوي قطبيعاً من الابقار ...

ثم طفق يستذكر ايام الصيد بصوت عالٍ ويختمن غلة
الغدران : «بوزيدان أغلى» هذه السنة اكثر من مالثوا ؛ في
شانلو استطاع السمك الكبير ان يتهم الصغير كله : يا للشره
الذى حدث هناك ! ... كان يتحدث عن الشبوط والبورى ...
اسماء كثيرة تتزاحم في خياله كتزاحم الاسماك في برك
الاختيار ...

وتطورت احلامه وخيالاته ، مكتنفة باعداً كثيراً ، ثم ما
له ولصيد الاسماك ؟ وماذا يهمه لو قضت كل سمكبات محاقدن

رَأْبُولِبُولٌ

تأنكون ؟ إنها أمور لا تهم خفيه الصيد : هو فقط خفيه يشار
إليه بالبنان ، في ذلك خفر يكفيه .

ومرت بومة فوق البيت ، يتسحب في العتمة إنينا الحاد ،
صريherا الحزين مثل دوارة : عدو آخر يرصد شرًا في الظلام .
آه ! هذه الليالي ! كيف يغفو ذو حرقه في الدم ؟ ... يتمدد تحت
الحرامات ، يطبق عيناً واحدة ... يصغي ... يحس ... حتى في
الغفوة الحواس ترقب ، عوا ، يفاجيء ، نباحاً يتتابع ، ثعلباً
يمجر دريكة ، الفخاخ المنصوبة في الشعاب ؟ يجزر على
حدود الحفر ظربان متارجع الانزلاق ، غس في سلب ...
رنين الجلاجل ذلك ماذا يكون ؟ منذ ليلتين ، شع ضوء قنديل
في السهل ... لا قمر ، ايضاً هذه الليلة ؟ الهواء عصيف والجو
مطير : لو ان بعضاً من حاملي القناديل ، مع ذلك ... ولكن
فليحذرروا فرقعة البارود ! كلا ، لا شيء ... انه رنين جلجل
علق في رقبة الكلبة الصغيرة التي تأرق في الشنيل .

وخيّم صمت رهيب على الكائنات إيزاناً بيده النهار . واسرع
توريقيه يصرخ :

رَابُولِيوُمْ

— تازى ! تازى !

وكان قد قفز من السرير وراح يلبس ثيابه تحسّساً؛ حر كاته تلقائية ؟ رفع ذبالة السراج على الطاولة وصب فنجان قهوة باردة وهو يقول :

— على ان ابلغك يا تازى ان تانكون قد تعاقد مع صياد آخر .

وبعد لحظات صمت ، عاد فقال :

— هل تدرى من ؟ ولم ينتظر حتى تجىء فاردىف : « انه فوكس أحد اقاربك » .

— رابوليyo ؟

— نعم ، رابوليyo ...

وجلس الى الطاولة يرطب قطعات الخبز في فنجان القهوة

رَابُولِيُوُّ

ويطعمنها بأسنان حادة ، وبدأ حياء الغير الخافل عادة بالغموم ، المنسري ، يغالب وجع هم غامض . عيناه تسمّرتا بذهول على لوحه امامه . وبعد ان خاق به صدره تاؤه بوساعة وقال :

— أصفي إالي ، يا تازى ...

وكمن وجد المهيغ السليم ، فجأة ، راح يقول :

— أرى ان رابوليyo لن يجديه نفعاً طوفانه او اقامته هنا .
عندما كان تانكون يبحث عن صياد يستأجره هداه قولا الى
رابوليyo ...

— ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

وكانت تازى قد ارتفقت الخدمة ، وكان الملمس لا يتبع له من روتها سوى اصرار وجوهها الذي غطاه شعرها المسدل .

وتتابع تورنيفية :

— أفر لها من خطة . قولا ، تانكون ، يجدر بقريبك

رَابُولِيُو

رابوليyo ألا يركن اليها ويتحقق بها . فولا ... أنا اعهده حادعاً عيائلاً . لن يجعل رابوليyo وبنديقته من بطانته وخلاصاته إلا بغية اباحثته للزلل يساوره دراً كاً .

وابتسمت تازى وقالت ساخرة :

- ولكن هل فاتك ان رابوليyo يعرف كيف يتقي الغائلة
ويتدارك الحيف ؟

- لا يفوتك ان قريبك لن يراوده النفاق في حدّ الضربة
الدامغة . ول يكن دائم الخدر من فولا .

وبعد ان استرسلت تازى في صيت تفكيري تابعت :

- بدونك لن يستطيع فولا ان يفعل به شيئاً . هل هو
خفيه صيد ؟ هل أدى قسماً ؟ هل يحق له ان يقسم دعوى ؟
اذا كان عليه ان يحذر فولا ... فواجبه ان ينتبه منك
أنت ايضاً ...

رايوليو

— بدون شك ... و أكمل تورنيقيه حزيناً متلماً: لا أريد به اي ضرر. ولكن ماذا في يدي لو ارغمني تانكون على مجانفته والكيد له؟ ولكن ثقي من رقد قولا له؛ وانت ايضاً دون ان تعلمي ... اذا اكتشفتُ فخاخاً ^{نصبت}، ومصدر قذائف أطلقت ، يحتم على ان أغمض عيني لخافة ان أوقع برابوليyo .

وخطا الى الباب يمسك الزلاج وتابع وهو يهز رأسه :

— أحب ان اراه في مكان آخر .

مشى تورنيقيه صوب الغدير تغمره أضواء الفجر الرطبة. السوفاجير الآن فارغة نوعاً ما؛ في جوانب السد نطاقة وحلة تحرك ^ك بتموجات واهتزاز بطيء. قصبات ^{على الحفافي غابت}. اسفلها في مياه عكرة رمادية اللون. من هنا ومن هناك الماء يتزّز ويسليل؛ حتى دمدمة السد خرست كأنها حطممت تحطيمياً، فلا يسمع الا خرير ناعم لطيف ...

رَابُولِيُون

— صباح الخير، يا نورنيفيه !

لقد كان تانكون وقد بدا امامه فجأة. ورغم الازعاج
الذي احسن به ما فتى « تورنيفيه » ان ردّ بأدب :

— نهارك سعيد يا سيد تانكون.

وطفق الرجلان يتأملان ، تحت اقدامها ، المستنقع المصرف
الذى يحيط بالسد. المياه تدور وتتصادم بقوة وعمق ، صفحتها
تهتز وتسموّج في وفرة من الفقاعات المدوره البيضاء. والتفت
تورنيفيه الى زميله وقال :

— لا بد ان يكثرون الصيادون هنا ...

وبقي تانكون غارقاً في تأملاته ولم يحجب. وازداد اضطراب
الحفيير ؛ وقفزت على شفتيه تساؤلات وولدت في عينيه ريبة.
رابوليyo ! قولا ! .. ودّ ان يلفظ ذينك الاسمين علّ تانكون يسرع
الي تعرية ذلك السرّ الغامض الجليدي الذي يلفته كأنه احد

رَابِّ الْبَوْمَ

السحرة ؟ ولكن شيئاً ما ينفعط على لسانه ، ويسل فيء الحركة .
من طرف عينه كان يتزهد الشبح الجاف القاسي : القهاط الجلدي
الاسود من قبل ، اصهب الآن من لطخ الوحل الجاف ؛ المعطف
الاخضر انقلب هو ايضاً اصهب ، يخرج حفيقاً حاداً عند كل
حركة ؛ الشال ذو المربيعات الذي يقهقر اللعنة الواتدة
المفسحة ، ذات البياض البشع المكدر . بالكلاد يحرث تورنيفية
على ان يرفع عينيه نحو ذلك الوجه العابس ، ذي الشفتين
البنفسجيتين التائتين وسط شعيرات واندة مبعثرة ؛ والوجنتين
المصفحتين بقضم اغبر تلطفه الوازن رخام مدهون حتى العينين
المعدنيتي الاصفرار ، المستقرتين واللامعتين بقبع وراء تدمّع
دائم . وعلى الجمجمة الصلداء كان تانكون بعض قبعة من جلد
كلب ماء ، مفروزة حتى يبدو ان اذنيه قد انخفضتا اكثر من
المعتاد . ويداوم تانكون على علك كرات من الصبع
بتهمل بشع .

تنهد الحفير وقال :

كابولون

من حسن الحظ ان العربية قد أتت .

وكانت العربية تقدم في الجادة الرملية المحاطة باشجار السنوبر وشجرات التفاح المتعاقبة ؛ يجرها بغل هرم ضعيف يد ، قسراً ، خطواته المتباينة ؛ الحوذى يمسك الرسن ، ورجلان آخراً يقفان الى حاجزى العربية وسط اشياً مشوشه مبعثرة هنا وهناك ؛ ورابع يتبعهم ، مشيأً ، على بضعة خطوات الى الوراء . صرير الدوايلب ، وتصادم الآنية التنكية ، في بدء ذلك النهار حيث تلبدت في الجو غيمات رذيدة ، كل ذلك حال دون سماع صوت الرجال الاربعه الا عندما لامسوا الغدير .

وحلما استوا بدأوا يصطادون . وقد احتدوا المطاط حتى مشارف الفخذين ، فالتحق الوحل حالاً بهم وخصوصاً بأيديهم التي كانت تحيل سلال الصيد في الماء . أما تورنيفه فقد راح يتنقل في بطيخة الغدير ، يدوس الرمل الحاضل فيتراجع بترجح ثاره محمد وتارة تخونه قواه فتفرق فخذه كلها في لزاجة

رَأْبُولِهُولِ

الوحل . آنذاك يحرك ذراعيه في كل اتجاه ويشد على خاصرته حتى يخلص فخذه من ايشارق الموحنة . الألح على ساقيه كوم سوداء لزجة ، سرعان ما يذبل عند اول عضة هواء . في يديه كوم السمك ترتفع ثم تهوي الى السلة : شبابيط صغيرة صحراء تحططها حراشف عريضة مذهبة تتد مستقيمة على مدى الحاضرتين ؟ بوري كامد ذي البطن الناصع ؟ روائح عشب ومياه ووحل وسمك ونبات قلأ الجو .

وكان تانكون واقفاً بشبجه الرصاصي ، على ضفة الغدير ، يتوسط حورتين دغلتين . فنادى :

— تورنيفيه ! هل السمك كثير ؟

— نعم ، سيدتي ! أجاب تورنيفيه بادي الارتفاع والخوف .

— اقترب إليّ ، وأرجي بعض ما اصطدت .

لا شك ان الغلة كانت وفيرة : سككات رقاق عراض ،

رَابِعُ الْبَعْضِ

مدورات ؟ حراسف ترهو وتتلون : كبريتية برتقالية ، خضراء وزرقاء . وللم الحفيير بعضاً منها وقد تروست للحال اشواك فقارها الحادة . وتناولها تانكون بين يديه يتأملها لحظات عذاب ؟ في عينيه يشتعل لهب غبطة ؟ يداه ترتعشان ؟ أرتج عليه وتشنجت أصحابه ؟ أنامله ذات الاظفار المروسة القاسية غرذت في بطن برتقالي واحدة واحدة ؟ وبنفس البرودة الفضة فزّر كل السمكates التي احضرها تورنيفيه .

ثم مشى تانكون واستوى على منحدر المستنقع المقابل حيث الماء يدقق من قناة تحت الأرض . وجوده يرغم الصيادين على السكوت ومضاعفة العمل والانتاج . هم عشرة رجال يعملون بتأنٍ بجدٍ ، فهم قد اعتادوا هذا الصيد الخريفي . كل عام ، آخر تشرين الاول ، تانكون يفرغ غدران الكونت راميريه الثانية عشر ، فيغم بذلك كل سمكates الصيف : حواجز نحبقة الحلقات بين الاسناد المعمرة تسد من مطرح الى مطرح الساقية دون ان توقف مرور الماء الذي يحول الى برك الاختيار .

رَأْبُولُوكُمْ

اناط من المرائب اقيمت على جوانب الضفتين ذات ابواب
ترفع وتختفف وفق المراد.

كان الصيادون قد بدأوا يضعون السمك في تنك واسع
كثيراً مارنت جنباته بصدمات خفية متتابعة. اما نانكون
فقد أخذ يروح ويجيء مبكلاً قبضته وراء ظهره فيما تففرز
نظراته ومضاؤه وخطفها حتى لا يهرب من مجالها اي شيء. وأحياناً
يتقمع صوته الأخش فيأمر فائلاً :

- اسرعوا ... رتبوا بدقة واتقان .

مياه الغدير، وقد نضبت تقريراً، لا تبلغ الساقية بعد الآن:
قنوات الحيزران المنحنية منذ يومين راحت تتتصب من جديد
تطلق حفيقاً حنوناً غامضاً وتسعيد اهتزازاتها المألوفة الرتيبة
بعد ان زلزلها عراك قوي وخدمات ولبيٌ. وبين فترة وفترة،
يبرز فجأة في الجرى، شيء يحرك صفة الماء بقوة. آنذاك
يهروي احد الصيادين وفي يده السلة فيتحسس لحظة ويستوي ،

رَابِعٌ

مقنطرًا ظهره مثل عامل يرفع ملء رفسن من التراب؛ وداخل السلة المرتفعة يتحرّك شبوط ضخم بقفزات ثقيلة ورخوة. وهكذا فقد تبقى في كل غدير بضعة من الحيوانات، تنتظر عودة الأيام الدافئة، لتضع البيض وتحصب، ومن ثم تعود السميّكات تلأً الأعماق العاشرة.

وصرخ تانكون:

— هيا!... إلى الغدير.

اجتاز الصيادون السد وتزلوا نحو السوفاجير. لقد انقطع جريان الماء تمامًا بين شطآن الرمل والوحول؛ وحدها الاحداد المستقيمة والمترعرجة ما تني تدل على جريان المياه. وكانت بحري بوشبراند قد اتضحت أكثر فأكثر في ذلك المنسخ المغير المتقدّر؛ يجري من هناك صوب الجنوب خلال غدران أخرى: مالقو العالي والمنخفض، ثم بوشبراند، خلف البطائع والأراضي النبور، وخلف الصنوبرات البحريّة السامة بقممها

المكتفة القاعة التي تتألّب في ساء بيضاء الفيوم. وكان المجرى يدور حول جزيرة بيضاوية محاطة بجورات صغيرة مدوره، تعلوها راتينجيات نظيمه ثم يصلح أخيراً المصب حيث يختفي.

هناك تجمعت الشبابيط بكثرة. ولضخامة الماء في بعض المطاحن، كانت قفزات الحيوانات ترى وتشاهد. تجمعات بيضاء مبهمة، فيبحث عن كلب ذلك القطيع. واحياناً تهتدي احدها الى حفيرة بوشبراند، فتصعد بسباحة غضوبة عنيدة، تخد الوحل بخيشومها مثل المحراث، فلا تقع العين منها الا على خطوط مشعة او على زعائف فقارها الرخوة.

غطس الرجال بالوحل من جديد، سلامهم تفترش وتبثث. الشباك تتحني ثقيلة ملأى؛ والماهأة تتفجر عالية في حلبة تصادم الاذناب فتصفع الوجوه بقعاً سرعان ما تحمد وتقسو. اغلب تلك الشبابيط تزن عشرة كيلوغرامات؛ ففي كل عام، رغم ما تعودوا، كان الصيادون يدهشون ان يروا من جديد هذه الكمية الضخمة من الشبابيط؛ ويعدونها في صناديق

رَابِّ الْبَوْمَى

خشبية ، جنباً الى جنب ؟ ثلاثة او اربعة تكفي حتى يضيق بسواءها قعر الصندوق القسيع العريض . فتتسكدس هيأكل لا حرفة فيها الا ما تطلقه خيالشيمها اللعيبة من اصوات صافرة حادة ، وتلمع خواصرها مثل صفات التنك . احياناً تتنفس آذانها المدممة بايقاع ناعم لطيف .

تابع المشي في الماء الراكد المحجوز وفي نفس المساحة . فأوجد الصيادون حولهم منقعاً من الوحل المائع ، نوعاً من بركة حسرت أعينهم عن تمييز ما فيها . وكثيراً ما افلتت الاسماك مهرولة وغارقة في اعمق بلة عادة غبراء . وأحياناً يتزحفون في ميوعة الوحل تشد وتتضفط سيقانهم . حتى ان أحدهم اصطدم فجأة وهو يتراجع بحافة الغدير فهو في الماء على قفاه وهو يحرك ذراعيه عيناً . وما فتئ ، حتى نهض واستوى مطلياً وحلاً ، معلق العينين قاحلاً بشدة وباصقاً بينما ضحكات رفاقه تتبعالي حوليه :

— ماذا ، يا بولازيه ، هل أعجبك الماء ؟

رَابِّ الْبَوْمَ

لقد كنت عطشان ، ولا شك !

حتى بوتورو راح يضحك أيضًا. انه ذو طبع دمت وعصابات كثيرة صبوره . سلح ماضيه يحطب في غابات سولون ، ويصارع السنديان والصنوبر . اما الآن فهو يمضي الصيف في الصيد والشتاء في نصب الفخاخ . هو يفضل الشتاء حيث اقتحام الاخطار والصعوبات وكلها لا تعدم الربح والافادة .

لم يكن وحيداً في عداد صيادي تانكرون : يعرفه كريكتين جيداً وطالما رافقه وما شاهد البندقية على كتفه ، في الماليالي الدم السود ، وقت يهز بولازيه الجبلجبل ويسلط ضوء القنديل في الاراضي البوار او المفلوحة . ولكن كريكتين ذو لسان ثرثار سليط بين رجال اعتادوا الصمت والاصغاء والخذر . ولا يعني ذلك انه أقل حذرأً ومهارة من سواه ؛ لا حرج عليه اذا كان لسانه لا يستطيع ان يخلد الى الراحة والهدوء .

كل هؤلاء الصياديين المرهقين الكادحين كانت لهم ألقابهم ،

رَبُّ الْبَوْلِ

خرافاتهم، كما يقال في سولون. قولاً، قولاً العظيم، ناشف
كاب، ذو عينين غائتين في أسفل جبين قاسٍ مثل حجر، كانوا
يلقبونه، خفية، مالكورتوا، وجوده مصدر خوف غريزي.
حتى كوريكين يسكت عند اقتراب الناطور العام: شريك
نانكون، منه الشخصي في كل شيء، عينه الساهرة وجاسوسه.
مؤانس، مازح عند الحاجة؛ سذاجته المراوغة، احياناً تخفيف
وتحذير. الجميع يشتمون في قربه رائحة الحبانية والمكر
فيعصمون بالحذر. منها حاول النمس فلا بد أن يبقى دفراً.

كان يترصد بعينيه واذنيه وهو يصطاد. وعندما يدبر
ظهوره ويُظن طائشاً لاهياً، آنذاك يبلغ ترصده أقصى الحدة.
وغالباً ما يناديه سرسولوت:

— ايه ! قولاً، راقب اذنيك : هما تتحرّكان .

ويرفع مالكورتوا كتفيه لا يتكلف الاجابة. وسرسولوت
نفسه رغم نظره الماكر طي أجفانه الخزراء، وحذقه في حمل

رَابُولِيوُّ

البندقية ، وصلبه الطبع الجبار ، وسرعة وعزم سيقانه ، ثرثار لا مثيل له . يعرف قوله كيف يسد في وجهه الطريق ساعة يريد . رجل آخر يسترعى حذر قوله فلا يبني يراقبه ويترصد़ه ؛ انه رابوليُو . لقد غاب عنهم اسمه الحقيقي واسم والده ووالدته وعائلته ... اسمه الحقيقي بيير . والدته موتنين العجوز ، وزوجه سندرين لا تناديانه إلا رابوليُو . لقب تلبسه ورافقه منذ شهوره الاول من حياته . رابوليُو طبع الحركة ، حاضر البديعة ، محظوظ ، ضامر الجسم ، حاد البصر ، اسود العين . ما أشبهه بارنب من أرانب الرابوليير : خدن غابات ، والاdagال مسكنه الدائم ، يقفز بسهولة ويسُر على القرطبة المروسة الشائكة ويركض حراً طليقاً في الاراضي البور حيث يكثر الزمزريق والقندول والعليق المتشابك

احترف رابوليُو الصيد مثل كل السولونيين وممثل والده الذي قضى إثر رفقة تلقاها في بطنه . وراح والدته العجوز ، التي ما اندرلت بعد جراح حزنها على موت والده ، تقلق على مصير ولدها الشاب . اما زوجه سندرين فقد تهرع ، غالباً ، الى

رَابُولِيوُّ

دموع تذرفها تستنجد بها على وساوسها وغمومها ... يا للزوج الطاهرة!... من يستطيع منها عن البكاء! ضيقه تضفط على القلب فتطلق منه الحسمرات تجري ، ثم لا تثبت حتى تتطور غصباً وأشمئزاً والفاظاً قاسية ... اذا كانت النساء لا يستطيعن حبس الدموع هل يقوى الرجال على جم وختق غريزة الحاطرة والصيد! هؤلاء الرجال ، أبناء أرض وفيرة الطرائد حيث التدارج تنتادى ، كل مساء ، على الأغصان وبين حنايا الأمايليد ، وحيث الارانب تخرج جماعات جماعات من مطاوي الغابات لغزو المزروعات؟ واذا كان بضعة أغنياء يستأثرون حق الصيد ويدعمون ذلك الحق بقوة القوانين او بخفراء مأجورين مسلحين ماكرين ، الا توجد أيضاً قوانين اخرى ، اكثر قدماً ، عبشاً يفترش عنها ، ولكن يعرفها كل الشباب السولونيون لأنهم يعيشونها فعلياً وعملياً حالما يُطْرَّ الشعر تحت انوفهم وتصبح الدماء في شرائينهم؟

بدأ رابوليyo يعلم لقاء أجر بسيط . ورغم حقاره ظاهره ونحافة يديه فقد كانت ضربة فأسه المركزة الصلبة تهزأ باضخم

رَابُولِيوُمْ

الأشجار؛ فالشمر اللامع تتطاير إثره القشور اللاحيمة الملية
بالصمع؛ الصنوبرات الكبار ترتجف، عند كل ضربة فأس،
من الامايليد حتى الجذور. وبمحذق فريد كان رابوليyo يالمم أولًا
القرامي، هبة حطابي سولون حسب العرف والتقليل. فيصنفها
وفق طولها وعرضها مؤونة بيته يحتال بها على برد وجليد
الشتاء، وهو لا ينسى حصة والدته العجوز وحموه توراي،
ولا حرج لو باع ما يزيد عن حاجته بدرام تتوفر له شراء
الخرطوش الضروري لبني دقته.

أمضى رابوليyo هذا النهار يصيد السمك لحساب الكوانت
تاكون. تعب كثيراً ولا بأس لو نقده الكوانت الاجر
الوفير. منذ أيام ثلاثة يعمل عند تاكون ويذرع الأرض
جيئه وذهاباً، دون ان يضع عينيه في قعر جيئه. آه! دون ان
يشعر به أحد... يستدل على مطارح الحواجز والسياجات،
يكنز الاحساسات الي تنطلق من الاراضي المفلوحة والبور،
من الغدران والمروج والغابات... ثروة رابوليyo تزداد وتتكددس:
ليست ثروة تعي ذاتها، في مقدوره ان يجرّ دها جزاً جزاً بل

رَابُولِيُو

هي ملتصقة بحياته ووجوده تعج في أعماق روحه . ومن العبث أن يطلب من ذاكرته وضوحاً وصفاء ... عيناه ، أنفه ، يداه ، رجاله كلها ذاكرة وعقل وفكير ... ما أكثر ما غرقت قدماه في وحل رخو مثل الرماد أو جرحت باشواك العليق ...

— هذه من نصيبك ، يا رابوليyo !

كان رفاقه يعجبون من مهارته العجيبة . فقد استروا على حافة المستنقع ، وسيقانهم غارقة في الوحل ، وتركوا العمل بعد ان وضعوا ايديهم على السلال وراحوا يتأمرون رابوليyo .

كان يتنقل بانتباه وحذر ، حتى المنكبين ، عيناه تتفحصان الوحل المكدر ، تترصدان اي اهتزاز ، اي صوت ونأمة . قدماه تحسنان ... وفجأة تنطلق يداه بسرعة خاطفة وترتفعان بمسكتين بحيوان .

لا تغطس يداه في الماء عيشاً ، يصطاد شبوطاً ويناوله لاحد الرفاق فائلاً :

رَابُولِيوُنْ

-- خذه يا بولا فيه ... يا لك من كسلان كبير !

— اليك هذا ، يا سرسولوت ... إياك ان تحدثه في
الطريق ! ...

كان يضحك مسروراً فرحاً . وكم من أشياء خفية تضيء
في داخله ، له وحده ، وتغمر قلبه غبطة وانشراحًا . ونظر
إلى قولا شزرأً وقال ساخراً :

لا تتعجب ، يا مالكورتوا ... ساعطيك ما سوف اعطيه
بعد الآن .

وسر رابوليتو من نظرة السخرية يصعب بها قولا . دعاه
مالكورتوا مواجهة ... يا هذه الجنة البدنية . وانطلقت يداه
وإذا هو يتناول قولا شبوطاً ليس مثل سواه كبراً وسمناً .
وأطال النظر اليه وهو يتناول الشبوط كأنه يقول له : « لست
أنت يا قولا ، من يعرف كيف يؤكل رابوليتو » ...

وبدها ، خبيث تريث رابوليتو حتى راح مالكورتوا يتبعده .

رَابُولِيوُمْ

رويداً رويداً. لا بد ان يلتفت عندما سيصل قرب شجرة التفاح الكبيرة. وطفق يتأمل ظهر الرجل النحيف... كم هو وجد ذميم ثولا؟ ما أبغض رؤيته: منكبين مقوسين، أذنين متراهلتين ما كرتين! واستدار رابوليوم نحو الغرب، يفعل تأمل غابة السوفاجير والسنديان بلون النحاس والمحورات المصفرة. وغمراه دبيب غبطة خفي ناعم سرى في جسده كله.

وعاد الى الصيد وأخذت الشبایط تتكددس في السلال من جديد. هو يبتسم للجميع ويعازحهم فيما العرق الدفيء يتزحلق نقطاً نقطاً على جسده. وداخلته الشفقة والرثاء للناس كلهم وخصوصاً لثولا وتانكون، وتألب جمع كثير على جانبي السد ينظرون اليه وهو يصطاد السمك والشبايط. وعرف بين الجموع خفير بواسابو ومالاتير وبواسينو مزارع بوزيدان. وانفرجت أساريره وهو يشاهد توراي يقترب بخطوات حثيثة وهو يقول:

— استدعيت لأحتظ بلشونناً جيلاً مذهبأً في شانتفان.

رَابِيعُ الْبَقْعَةِ

وبعد ان حيا الجميع المخرط في فريق الفضولين . وانتقل من واحد الى آخر يضاعف الاستفسار عن مدى غلة موسم السمك في هذا العام . ولم ينس المنتجين الذين طالما سمعوا أخبارهم وابتسم للألقاب التي يطلقونها عليهم : « اسمن من الكلاب » .

اما تازى التي كانت تنظف الفسيل قرب الشنيل فقد تركت عملها وهرولت تقف بجانب الغدير . وحضرت أيضاً امرأة أخرى سمراً محروقة البشرة واجهت الرجال الذين راحوا يتأملونها في خلسة من عين ثولا . الحقيقة ان فلورا ليست على فرييد جمال فهي تشكو ازوااء الصدر وشدة اسوداد الجسم كأنها خلد . ولكن لها طواعية الفسيلة وجسداً يرغم الدماء على العجيج في العقل والرؤاد . ولا شك ان ثولا محق في غيرته القارضة ، هي تخونه باثر كل نظرة وغمزة من رجل . فالشهوة العارمة الصاخبة في عينيها تحدي وتجذب وتأسر ، حامية ساخنة .

رَابُولِيوُّ

وَعْدَتْ إِلَى تَسْلِيْطِ سَهَامِهَا إِلَى وَجْهِ رَابُولِيوُّ، فِي هَذَا
الْمَسَاءِ. وَلَكِنْ جَبَهَ وَوْفَاهُ لِزَوْجِهِ سَنْدَرِينَ حَالًا دُونَ وَقْوَعِهِ
فِي الْأَحْبُولَةِ. ثُمَّ أَنْ غَيْرَةُ قَوْلَا الْمَكْشُوفَةِ وَنَظَرَاتُهُ الصَّفَرَاءِ
الْأَلْيَمَةِ الْحَادِهِ أَهَاجَتْهُ حَتَّى الْأَعْمَاقِ. لَوْلَا تَلَكَّفَتِ الْغَيْرَةُ وَمَا يُلِيهَا
مِنْ غَضَبٍ وَحْدَهُ لَأَصْبَحَتْ قَلْوَرَا طَوْعَ يَدِيهِ وَقَلْبِهِ بَعْدَ
سَاعَاتٍ زَهِيدَةٍ ...

وَدَنَا مِنْهُ سَرْسَوْلُوتٌ وَقَالَ :

- هَلْ لَدِيكَ أُورَاقاً احْتَالَ بِهَا عَلَى سِيَكَارَةٍ؟ إِنَّ الْمَاءَ
رَطْبٌ مَا أَدْخَرْتَهُ مِنْهَا فِي جَيْيِيِّ.

وَهَمْسٌ فِي أَذْنِ رَابُولِيوُّ كَلْمَاتٌ خَفْوَتَهُ ...

صَدَرَتْ عَنْ رَابُولِيوُّ حِرَكَةٌ لَاْهِتَامٌ. وَلَكِنَّهُ أَحْسَنَ لِلْمَرْءَةِ
الْأُولَى بِدُنُو الْحَطَرِ. وَسَرَعَانَ مَا تَلَبَّدَتْ بَعْضُ الْفَيَاهَاتِ فِي أَجْوَاءِ
بَشَرَهُ وَسَرُورَهُ. رَبِّا كَانَ ذَلِكَ مَسَاءُ الْخَرِيفِ وَمَا فِي مَطَاوِيهِ
مِنْ حَسَرَاتٍ وَأَسْفٍ وَأَحْزَانٍ. الْفَيَومُ تَلَبَّدَ خَفِيْضَةً مُتَتَابِعَةً

رَبُّ الْوَلْبُونَ

لزيرة حتى إنها تلامس الأرض وتتقطر رذاذًا يترك أثره السيء في الأجساد والأرواح. كانت صنوبرات بوشبراند السامة الضخمة، عادةً داكنة أوان الظهيرة. سويداء مبهمة تصاعد من الأرضي البور، فتنتشر على المرج متسللة حتى تصل إلى السنديانات الجبارية المجوفة الجذوع الحشنة. في الهواء دوران أوراق شجر ونباتات وأعشاب، أنهكها التدويم. لا شك أن بينها أوراق حور وصفصاف، تحيط الواحدة بعد الأخرى في أحضان السوفاجير، ولا يفتأ الوحل حتى يكدرها ويديبها.

ودوى صوت فجأة :

-- حسناً، نحن ما زلنا هنا يا تانكون.

كان في جرس الصوت حب وسلط. وعرفوا حالاً شبح الكونت دي راميريه بساقيه الطويلتين النحيلتين وقد تقوستا من كثرة الفروسية وركوب الخيل.

وما أسرع ما أجاب تانكون بزيده لطف :

رَابِّ الْبَلْوَةِ

— نحن هنا رهن اشارة منك ، سيدى الكونت .

وابع الكونت ، بين ضجة الصناديق تحمل ودوي تصادم
التنك ، قائلاً :

— لا تنس يا تانكوبن ان تحضر بعض النبيذ الفاخر السائع
الطعم والمذاق ...

وبعد ان شرب الرجال وحيوا مشوا وراء العربة . وكان
البلغ أغضبه الانتظار الطويل فراح يعدو عدوأ لا مثيل
له منه من قبل . وسرعان ما بلغت الفرقة كلها نهاية الطريق
وغابت وراء أخواه الفسق الباهنة المصفرة .

لم يبق في السوقجير إلا صوت طقطقة مياه السد ودوران
الاوراق الجافة الصامت الرتيب . على الحشيش الرطب بضعة
أسماك ميتة . وفي مجرى الساقية كوم سك ، هنا وهناك ، لا
حراك فيها ولا صوت ، وقد استطال على بعضها شيء من التعفن
والاضححال .

٣

دقّات على النافذة ، عقبتها لحظات صمت رهيب . ثم
توالت على نفس النافذة دقات ثلاثة ...

وتقىدم تروشوت ، الملقب ببيك ساليه ، بخطوات رخوة
يمتاز غرفة الفندق . الأرض ترتعش تحت وقع جسده البدين
المترهل . وسمع تنفسه ينطلق بصفير خفيف .

- هذا أنت يا رابوليوا ؟

- نعم .

وأسرع تروشوت يزيل الزلاج . ودخل رابوليوا في مارأسه
ما يزال ينظر إلى الوراء ، وهو يقول :

رَأْبُولِبُونْ

— الى هنا ! يا ستيلا !... الى هنا ! يا جيتي .

ودخلت كلبة في آثاره . حيوان صغير لا نسب له . هي سوداء مثل ليل أفحمر تزين صدرها خصلة شعر بيضاء . سرعان ما عكست عيناهما ، في وسط الظلال الحولاء ، أنوار الفنديل المضاء في الغرفة المجاورة ، فانطلق عندها شعاع نور حار أشقر .

وافترت قسمات تروشوت وقال :

هل لديك الكثير منها ؟

— يؤكد لك ذلك حضوري .

— كم هي ؟

أربعة عشر ...

وركض المهرب يتناول السراج . واجتازا بحدر وسكتوت هرراً أوصلهما الى غرفة وطينة السقف ، استوت تحت الدرج .

رَابِولِيوُّ

وركز تروشوت السراج على الأرض ، وركعاً جنباً إلى جنب .
وطفق رابوليتو يخرج الارانب واحدة واحدة من الكيس ...

وحمل تروشوت الارانب كلها الواحدة بعد الآخرى يروزها
ويتحسسها ويشمها وما أكثر ما قدم مظهراً قلة لها وخفة
وزنها . وأخيراً سأله قائلاً :

— هل هي نفس هذا الصباح ؟

— نعم . كلها علقت في فخاخ الصباح الغابر .

وزاد سرور تروشوت وهو يدددها على الطاولة بينما انتراب
لا يزال عالقاً في صوفها . وقال :

أنت تعلم يا رابوليتو أني لا أحب الكلام الطويل ولست
من اتباع حب المساومة واللف والدوران . سأدفع لك ثمن
كل أرنب ثلاثة فرنكات .

رَابُولِيوُّ

— لا تظلمني يا بيك ساليه ! أريد أربعة فرنكات عن
الارنب الواحدة .

— هل غابت عنك المجازفة والاخطر التي أتحملها ! ...

وداحا يساومان بصوت خافت وألفاظ مقتضبة . وأحياناً
كانت ستيلا تقترب وتحسّن رابوليتو وتلامس يده بفمها ،
فيدفعها عنه قائلاً :

— ابتعدي يا ستيلا . واستلقي هناك !

كان يبعدها عنه بدون ان يراها ، صاباً كل جهده في
سبيل الدفاع عن حقه ازاء تصلب وعناد تروشوت .

وانقطع عن الكلام فجأة والتفت الى الكلبة الصغيرة .
كانت تقف منتصبة على قوائمها وقد قف " شعر فقارها بينما أنفها
مشدود صوب الباب . ففمها المنفرج ظهرت فيه أنيابها
الحادة المروسة ، تخرج منه دمدمة تتبىء بنباح متقطع حذر .

رَابُولِيوُّ

من كوة فيه فيصبح حرّاً طليقاً، ولكن حصل مالم يك في
الحسبان ...

فيها هما يتراجمان. فتح باب الغرفة فجأة على مصراعيه...
وانقضت ثوان ليست من الزمن ... نسيت وضع الزلاج، قال
تروشوت. واستطاع رابوليتو ان يستشف في العتمة رأس
انسان علته خوذة ... سرت في روحه اشباح قصورية وتهدم
وانهيار... ولكنها سرعان ما اهتدى الى سبيل الفرار والافلات
في الحلقة الدامسة ... واندفع في الظلام شبه أرنب هاجمها
قناصون مهرة... مضت لحظات افرخ فيها روعه وسمع وقع
قوائم ستيلا تعدو وراءه خفيفة ، فخورة به .

كان في هروبه يتوصى كل صوت ونامة تعیث هدوء الليل.
ليس إلا ضجيج الماء، يجاد أذنيه ودوي وقع عدوها على
الارض. وقف يغذّي من تنبهه وحذره ... لا باعث الى الخوف
ولا خطر يداهم؛ الشرط لا يقتضون آثاره.

آنذاك استند الى حائط احد البيوت واطلق السكينة

رَابِولِيوُّ

والانتظام والهدوء تعود الى خفقان قلبه . وحالما استعاد الطمأنينة غرت كل كيانه احزان تحقره وتشيع مرارة في حلقه . ما كاد ينتشي بابعاد المخاطر عن حياته حتى عادت نفس تلك المخاطر تجتاح حياته بمواجهها الحامزة ، تبعث فيه قرفاً واشمئزازاً يتدان حتى أعمق أعمقه : « شاب جريء مقدام ، رابوليyo ! وما أسرع ما أضاع عقله وشجاعته في آن واحد ... ظن ان كل ذلك يدعى فننا ! » وعاد يستذكر خصوصاً تلك اللحظات عندما فتح الباب على مصراعيه حيث أحس بالفراغ في كيانه كله وفي رأسه وبضحالة الدماء ينبض بها فؤاده ، حيث علق في ذهنه شيء واحد : اصطراك ركبتيه . لاشك أنه استرجع رباطة جأشه بسرعة لا مثيل لها ، ولكنه لن يستطيع أبداً نسيان ذلك الانهيار الجامع الشامل الذي سهل كل ما فيه من قوى روحية وجسدية . « كم انت خامل مسكين ، يارابوليyo ! آه ! انك لا تصلح لأي شيء ! »

الشتائم والتحقيرات هل يسددها الى نفسه ام الى تروشوت النذل اللئيم الذي خانه لقاء دريهمات ؟ ... تروشوت ؟ لا .

رَأَبُولْبُوكْ

فقد أغاظ الاعان وردد القسم العراح الرزين ؟ واستشعر في نظراته الصدق والاخلاص . هناك رجل آخر ؟ من يكون ؟ وتخيل وجه ثولا العظيم وعينيه القاتتين الباردتين وما ينبعث منها من نظرات قبيحة ماكرة خاتلة .

— على رسنك ، يا ستيلا ! لا أريدك في تعب ...

وأخرج من جيشه حبلأ ربط طرفه الاول حول رقبة الكلبة الصغيرة ثم علق الطرف الآخر بوند أحد السياغات . وكانت هناك حفرة واسعة غطى فوتها عشب وشوك كثير . ونظر الى ستيلا بعد ان أمسك رأسها بين يديه وقال :

— قددي هنا على الارض ...

وضغطت راحة يده بلطف وقسوة على جسم الكلبة الذكية الامينة يراقبها تتمدد في الحفرة . وأعاد توصيته لها مردداً :

— يجب ان تبقى هنا ، هادئة صامتة ، إياك والحركة
وخصوصاً النباح ! ...

رايولپون

وَرَجَعَ يَعْدُو مَسْرَعًا حَوْبَ بَيْتِ تَرْوِشَوتْ .

لَمْ يَعْضُ إِلَّا زَهِيدَ وَقْتٌ عَلَى كُلِّ مَا حَدَثْ : فَهُوَ لَمْ يَبْتَعِدْ مَسَافَةً طَوِيلَةً فِي هَرُوبِهِ إِذَا يَقِنُ أَنَّ الشَّرْطَ لَا يَلْحَقُونَ بِهِ . ثُمَّ أَنَّ هَوَاجِسَهُ وَأَفْكَارِهِ دَغْمَ مَا تَغْزِيَتْ بِهِ مِنْ شَدَّةٍ وَأَهْوَالٍ فَقَدْ تَبَخَّرَتْ بِسُرْعَةٍ فَائِقةً . هَا هُوَ يَصْلِي بَيْتَ تَرْوِشَوتْ .

كَانَ قَدْ بَلَغَهُ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرَبِيِّ حِيثُ تَقْعُدُ كُوكَةُ تَطْلُعُ عَلَى الْقَبُوِ . دَالِيَّةً عَرِيشَةً تَسْتَطِيلُ عَلَى الْجَدَارِ وَتَشْمِلُهُ : امْسِكْ بِهَا وَتَسْلُقْ سَاحِبًا ذَرْاعِيهِ إِلَى فَوْقِ وَمَرْكَزًا قَدْمِيهِ فِي نَتَوَاتِ الْحَائِطِ ، تَسْعِفُهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَهَارَةً وَخَفْفَةً هَرَةً شَبِيقَةً إِلَى الْلَّاهِيْمِ مِنَ الْعَصَافِيرِ . وَشَعَرَ أَنَّ قَوَاهِ قَدْعَادَتْ كَلَّاهَا إِلَيْهِ : كُلُّ جَهَدٍ مِنْ عَضْلَاتِهِ يَكْشِفُ لَهُ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ ؛ مِنْ خَلَالِ جَلْبَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُنْتَلَقَةِ مِنَ الْبَيْتِ ، فِي أَسْعَةِ ضَوءِ خَفْوتِ ، يَتَسَلَّلُ مِنَ الْكُوكَةِ الْمُفَتوَّحَةِ وَيَنْعَكِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، كَانَتْ تَلْكَ الْأَصْوَاتِ تَنْفَحُهُ طَوَاعِيْهِ حَوَاسِهِ وَوَعِيَّهَا الشَّامِلُ كُلِّ شَيْءٍ .

انْزَلَقَ فِي الْقَبُو عَلَى شَعَاعِ الضَّوْءِ الْعَمُودِيِّ . هُوَ يَزْحِفُ عَلَى

لِرَابِّ الْبَلْوَةِ

بطنه مستندأً على راحتيه دون ان تخونه نامة وجرس . وحين بلغ هدفه الصق عينه على الفجوة المضاءة وراح يرقب ويصفى .

ما زال تروشوت في قاعة الفندق الواسعة ، وقد أضاء السراج من جديد . ثلاثة من الشرط يحيطون به : رئيس الفرقه داغوريه ، بوسو العجوز ، والثالث الذي حضر الى البلد منذ زمن قليل . وهذا الاخير كان يقبض على كتفيه ويصوب اليه نظرات قاسية جداً كما حدث لرابوليتو ان فعل منذ فترة وجيزة . وجهه المضاء من أسفل بالسراج يبدو مشدوداً فظعاً تبين فيه خطوط حفراء باهتة لئيمة متبعده ، بينما تبصص شعيرات خنائية تحت أنفه . وكان الشرطي يهزه منتهراً ويردد :

— لقد رأيته ... هرب أمامي ... عليك ان تعلم اني عرفته جيداً !

كان بيک ساليه يدير رأسه نصف دورة عليه يتحاشى

رَابُولِيُو

نظرات الشرطي الموجعة المهددة. وكم انتابته ارتعاشات وارتجافات عند كل نظرة تصوب اليه أقسى من الكلمات والصفعات . حقاً ، لا شيء أفعل وأقسى من نبرات وصوت ذلك الشرطي : صوت تجزّ غنته الباردة في اللحم تخرج وتدمي وتوجع .

— هو صعلوك أفالك ... أقسم لك يا سيد بوريل ... انه ليس من مواطني هذا البلد .

بوريل . لقد كان يدعى بوريل ، ذلك الشحور الازرق . رابولييو يراه بوضوح أكثر الآن ؟ لا يفارقه نظره ، يتأنمه بشره . يا للوجه الذي هناك ؟ ... ما أوفر النشوز في تضاعيفه ؟ وبخت رابولييو عبئاً عن أشياء غير عادية وراء هذا الوجه . انه شبيه بسواء ومع ذلك ما استطاع ان يجعل دوت رغبته في تفحصه بدقة وسبره بجلد واهتمام يدفعه الى ذلك ميل آسر مضن . العينان ؟ واختتان ينطلق منها لون رمادي مصفر حسبما بدت له من بعيد : انها تتوافقان والاعين الأخرى الكثيرة . الانف ؟

رَابُولِيُو

ناشف حاد يغنم تسلية لا يأس بها من يداوم تأمله . والشارب
الخنائي ! ولكن ما أكثر لون الشوارب الخنائية في الناس ...
فبرلازيه ذو بشرة خنائية ومع ذلك فهو من الشبان المتصفين
بالسحر والجمال والجاذب ...

لا ! لا ! هناك شيء آخر لا ينبع من سواه وغيره مرئي
باليعن الجردة ؛ مصدر ذلك الشيء من الداخل ، يعتلي وينمو
في الاعماق : إمارات معقدة ، متكتفة ، تعز و تستبد ، عنيدة ،
وحشية المرأة والشجاعة ؛ مطعمه بخث لا إرادى ومكر
خلقي . وإذا كان رابوليتو لا يستطيع شرح وتبیان ذلك فقد
أحس به وخبره بقوه تركت فيه الاثر الدامع ؛ امكانیات
شتی تختتم في شرایینه ، تصفع قبضته وصدغیه ، تستصرخ الثار
له من ذلك الرجل . يا الله ! ما الذي سيحدث ؟

وفرك عينيه بيديه وبسط على الارض ذراعيه الممدودتين
وبطنه وصدره .

في أسفل ترك بوريل بيک ساليه وأخذ يحصي الارانب على

رَابُولِيوُّ

الطاولة في ضوء السراج . وأخرج من جيب معطفه دفتراً
صغيراً وقاماً . وقال ببرودة :

حسناً . أنت تدعى تروشوت أليس كذلك؟ ما هو
اسمك الشخصي؟ هيأ! أجب ! بسرعة !
كان يسجل المعلومات وهو واقف وقد أنسد الدفتر
على راحته .

وغلى الغضب في وجه بوريل فجأة . ولمحه رابوليتو ، بدهشة ،
يومي الدفتر على الطاولة ويتقدم نحو الرجل المترهل الذي بدأ
يتراجع إلى الوراء . وقال مرعداً متوعداً :

- قل من هو؟ ما اسمه؟ أريد أن أعرفه ! أتريد أن
تقرّ إليها الحذري قبل أن أحطم حنكك؟!

الاحتداد الذي طفح من بوريل جعل الشرطين الآخرين
يتقدمان نحو تروشوت . وأمسك بوسو العجوز يسد بوريل
وراح يهمس في أذنه :

رَأْبُولِيُّونْ

ماذا حدث لك؟ هل من داع إلى كل ذلك السخط؟

وارتجف بوريل حالما لامست ذراعه يد بوسو وشرع يزعق
مصغر الوجه مستطير الغضب :

— ما هذا! ما هذا! ماذا حدث؟ هل هناك جرم؟ نعم
أم لا؟ ألا يشكل القنص في أملاك السوى جرماً؟ أهكذا
تفهم واجباتك يا بوسو؟ أريدك أن تعلم ابني لا أغير اي اهتمام
لما سيقوله الناس ، ولكل ما سيحالفك من فحص وتعليقات . . .
أنا شرطي وكفى ! ...

ومشى يجبيه بييك ساليه من جديد . وتتابع متوعداً :

— أنا شرطي ، هل تسمع وتفهم ، أهيا المناق؟ وسأبرهن
لك عن ذلك لو سوت لك نفسك ان تداول وتكذب ! لا
يفوتنيك ان المحاكم رفدو زين لي... والسجن ... ومفتاحه . هل
سمعت أهيا القذر ! ...

وأضحي وجه تروشوت في اصفرار مخيف ودبّ الفزع الى

رَابِّ الْبَلْوَةِ

كل جوارحه . فصرخ مسترحاً يستردد آخر ما في صدره من حيل وإراغة :

— لو اطلعتك على اسم الرجل ، هل أثال منك الصفع عن كل شيء؟

— على كل حال ، عليك ان تعرف وإياك ان تخايل !

وتألقت النظارات في عيني بوريل وكأن الغضب الذي كان يهزه ويخخصه منذ ثوان قد اضمحل وذاب . أما تروشوت فقد راح يستعيد رباطة جأشه ويلجأ الى المساومة مجدداً .

آنذاك طفق رابوليتو يتبعثم ضئ الجهد الرجاد حتى لا ينهض ويصب على رؤوسهم ما يحتاج في حلقة من شتائم ولعنات؛ برودة خبيثة تتفسى وتدب في فقاره؛ تخدرت أصابعه حتى أضحت الأرض الحشنة أطري من القطن مستندأ وملمساً .

ونظر بوريل الى تروشوت وقال مراوغًا :

رَابُولِيوُّ

— هيا ! قل لي من هو . وأنا أعدك ان أصفع عنك وأطبو
الاجفان عن كل شيء ... ومهما كان ...

— هل عليّ ان أثق بك ؟

— كل الثقة . فانا وعدتك وعد الجندي الشجاع .

— هو ... رابوليyo .

وهكذا بدت النتيجة فاجعة فادحة . وتداعى كل شيء
بساطة جهولة رعناء . ووقف رابوليyo على مهل ، وسره از
يرى كل شيء بوضوح ! ... آه ! ما أللذّ الوضوح بعد الآن .

بيك ساليه رجل جيان رعديد ؟ بوريل انسان فظ خشن
عدو لدود لا يؤمن جانبه ، وكل الخطر ان يتلقى به في الطريق
وفق ذلك سيتذر رابوليyo حياته بعد الآن . وهناك أيضاً ثولا
الذى وشى به : هي حقيقة صراح سائفة رغم مراتتها . لز
يعبا الان بثولا ، ولا كيف استدل على وجوده في فندق

رَابِّ الْبَلْوَةِ

تروشوت . ثم انقضت لحظات خامره الشك خلاها بصدق
بيك ساليه نفسه ! وماذا يضير تروشوت وهو المعاش من
أرباح القنصل ان يحاول الاتهام بعلقتين ! انه مراء زنيم ،
كومة حليمة عفنة لا عصب فيها ولا حرق ولا دماء . ولكن
قولا ! ولكن بوريل !.. لا مجال الاآن ، فقد حان وقت الذهاب .

ورمى آخر نظرة الى الفرقة وشعت في ما آقيه ابتسamas
وتلاؤ في وجنتيه بشر : بوريل يسجل من جديد ويتوعد
تروشوت ويتهدهد . لا بأس من الاقرار المزدوج يا بيك ساليه !
فلن يمنعك ما يتعلج في داخلك من مكر ولؤم وخبث ان
تنتفخ رعدة وجيناً وفزعاً ... وبوريل ذاك ! انه ثور شرس
جموح . . .

وبلغ رابوليyo الكوة . وتعلق بيديه فيها رجلانه تبحثان عن
الdalالية ترتكزان . وانزلق دون ان يحدث اي ضجة فاستوى
على الارض . وسرعان ما راح يعدو مهولاً الى الحفرة حيث
ترك ستيللا . . .

٣

كان ارتياحه وقتياً، فلم يكدر يلتقي كلبه حتى عادت الموم
والمواجس تضطرب في عقله وقلبه ومستقبله: الاشمئزاز من كل
شيء خضّه حتى الاعماق؛ السخط في صدره يتآثر ويعلو،
ويضحى مستبداً متسلطاً على كل أفكاره.

ذلك السخط يخنق فيه حتى استشعار الخطر وحرج المأزق.
تحولت قواه الروحية والجسدية الى عزمات وقوى ضد ما يسد
عليه طريق الحرية والمدد والكرامة. وهؤلاء الرجال ليسوا
إلا ذلك الحال القاسي دون ما يريد وينبغي.

آه ! هؤلاء الشرط ! هو يتخيلهم فيما يشي لا يدرى الى
أين ؟ كثيرون يسعون وراءه في الليل : الشرط الثلاثة

رَابِّ الْبَوْمَنْ

بزيارتهم الزرقاء، وقبعاتهم اللامعة؟ خشخشة اسلحة وأصفاد
تواكبهم حيثما توجهوا. ومن المؤكد ان بوريل انسان
غضوب فاجر ...

كفى اذن ! وببدأ يد خطواته ويطيل المجال بينها كأنه ملاحق. هل نصب بعض الفخاخ في الغابات يشكل جرماً فظيعاً يستدعي هذا العدد من الاعداء اللدودين؟ حتى هذا النهار ما تؤخر رابوليتو الشر لا ي انسان : فاذا نصب الفخاخ ، وحام في الليل حول السياغات ، ويبحث عن الجثام فليس حافره الى ذلك سوى ربع بضعة دربهات . ثم انه أب أطفال زغب الحواصل وزوج امرأة فاصرة ضعيفة ؟ زد على ذلك ما له من مهارة ولباقة . ففي مقدوره ان يخلق حوله اياماً سعيدة تحفل بما لذ و طاب . فالعمل ميسور في غابات الصنوبر والاحور او فوق التوارج حتى يوفر الغذاء والكساء لعيته . ولكن هناك الهواية والمسرات والافراح ! ... رغبة في الصيد والقنص ملحة تأخذ بالحنق فجأة وتعمي البصيرة والبصر ، عندما يتسلط الرذاذ في ليلة سحاء او يبدو القمر التم عقب ثلوج رمي وساحه الابيض الناصع في كل

مكان . من السماء الاليفة والمسافات الحبيبة نداءات سرية
غامضة تبلغ السمع ؟ أصوات معهودة ساعفة ، أيد قوية تشد
الانسان قسراً وتنزعه من الفراش ومن دفء وحنان البيت .

وهؤلاء الرجال يجهلون كل ذلك . كيف يستطيع بوريل
أن يعرف ان ضوء القمر انسان كباقي الناس يبدو جمال محياه
من وراء النافذة ويشع على الارض ! وان الميزاب يندنن
في خارج ، أجمل الالحان وأطرب الاغاني ! وان الهواء يدغدغ
أماليد الصنوبرات بصوت متسلط مستبد ، من العبث الحؤول دون
طاعته والعمل بأوامرها !

كل حقد او لئك الرجال بان له الآن سخرية ، وما تعتمر به
صدورهم من ضعينة عنده وخبيل . فلن يتبدل مجرى حياته ؟
ربما شابه كل ذلك سرباً من القممات تأليب في يوم حر على غصن
صنوبرة ؟ وعند هزة الفصن تفرق القممات حالا ...

ولكن هل يستطيع ان يحتفظ بهدوئه في جلبة ذلك الدوي

رابوليُو

المزعج ، والهجوم المفاجئ ، واللسعات الغير المرتبطة يرشقها الفضاء ؟ وبقي رابوليُو وهو يسير ، يهز الرأس والكتفين . كفى ! كفى ! سخطه يزداد وتضايقه يتفاقم ، وغالباً تمنى لو يهرب من ملاحة تلك الاشباح والاشكال الواقحة الطافية غيظاً وشوماً ؛ واحياناً يلتهب الدم في شرائينه عزماً يحبه ، وقوه تصدّ وتدفع ، وبأساً يتحدى : اقترب قليلاً يا بوريل لأنني من قساوة عينيك ! هما عيناك اللتان ارعدتا تروشوت ! ولكن تروشوت جبانت أما انا فمر الطعم شديد المراس أفيض شجاعة ...

ولا بدّ ان تفوز الشجاعة في النهاية وينتصر الصمود . صنو رابوليُو لا يثنيه عن بلوغ الاهداف شيء أياً كان . فهو لا يستوي في ذلك مع فئة الكتاب والقضاة والمحجّاب . هناك فقط امور مغلقة لا يجوز ان يؤبه لها : ما هي دلائل ومرامي قانون « حق القنص والصيد » ؟ توجد ، بدون أي حرج ، غريزة حب الصيد ، وفق الاوقات والسواعن والفصول ؛ الرضوخ الكلمل للارشادات المطلقة تنبت من الارض وتنحدر من السماء ؛

رَابُولِيوُّ

الاوامر الواضحة الصارمة تجيش في الصدر وتحتلل في القلب
والروح ثم تنموا ومتند مثل القمر يحتل مساحات المقول والمروج
والسهول. يتضاعف نبض الفؤاد بنظام وتساقق وتعتصر في
الصدر لاعجة تشبه انتظار العاشق الوهان. لا بأس لو تدخل
الناس وزرعوا الطرقات والشعاب أخطاراً وحواجز. الحاجة
ملحّة لا تُرد: حيوانات الاخاذيد والغابات تنتظر من يفشي
اسرارها ويعرق قل أسباب مكرها المرتعش وحيلها الواجهة.
ها هي ترتدي بين الايدي تلقائياً. القضية بسيطة! انها التسلية
البريئة الحلوة ...

حتى الآن مشى رابوليتو بدون هدف واضح تغذّي خطواته
احلامه وخیالاته. وقف يسترقد افكاره ويخاطط المستقبل.
وكان قد انحدر نحو خفة السولدر؛ عشب المروج المبلل المرطب
أناح للرطوبة والماء منفذًا الى حذاه؛ الضباب المتسط على
الوادي يكتنفه ويفطنه فيتغلغل فيه كأنه في وسط بحيرة باردة
منعشة. حواليه صفوف الحور تشرب قناتها فوق
البياض العاجي، وصفاص يتأليل على ايقاعات ارتعاشات

رَابُولِيُو

وارتجافات متتابعة . وكم بلغ منه السرور وهو يغرق جسده
كما في سحر الطبيعة الفتان وات يرى الاشجار تختفي رويداً
رويداً امام عينيه وخصوصاً ، عن عينيه ، وفراة الردوم يوحد
بينها ذلك السهم الحاد : بيوت القرية المزينة حول قبة
الكنيسة .

واقعد الحشيش المرطب مسندأً ظهره الى جذع حفصافة
متين مجوف ؛ وخلال فترات انهيارات " غامضة " تنزلق في
اعماق الشجرة ؛ رابولي يستذكر آنذاك عمل الحشرات
البسيط الدؤوب .

ولكن ماذا سيفعل الآن ؟ « قولي لي ماذا عليّ
ان أعمل يا عزيزي ستيلاء ؟ ». الكلبة الصغيرة السوداء ، مستلقة
الي جانبها ، تستدفي قربه وتلتصق خاصرتها الي حرارة جسده ؛
تتهدى على مهل وترمي رأسها في حضنه مستسلمة الى
سبات ثقيل هنيء .

الحراجة التي منعت رابولي من مطاوعة الافكار العامة لم

رَابِّ الْبَعْدَ

يَكُلُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُوقَ أَعْمَالِهِ وَفَقَ إِرَادَتِهِ وَمُشَتَّهَاهُ . وَذَلِكَ
لَا يَتَطَلَّبُ مِنْهُ أَيْ جَهْدٌ : تَسْلِسْلُ أَعْمَالِهِ الْعَتِيدَةِ يَتَوَالَّ وَيَنْطَلِقُ
مِنْ مَرَاسِيمِ بِدَائِيَّةِ ، لَا تَتَبَدَّلُ ، ذَاتَ فَجَائِيَّةٍ تَحُولُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ
الْأَفْ وَالدُّورَانِ وَالْأَكَاذِيبِ : هُوَ يَعْرُفُ ذَاتَهُ بِشَمْوَلٍ
بِحَبْبٍ ؟ يَخَاطِبُ ذَاتَهُ : « حَسْنًا ، هَيَا ، يَا بَنِي . هَيَا ، اذْهَبْ ! »
وَهَذَا التَّضَاعُفُ يَتَدَدَّدُ وَيَنْمُو تَحْتَ نَظَرِهِ وَرَأْيِهِ وَسِيَطْرَتِهِ ؛
وَيَتَحَشَّى أَنْ يَعْكُرَ صَفَوَهُ وَيَعْانِدَ مُجَرَّاهُ ، رَغْمَ أَنْ يُسْتَطِعَ أَنْ
يَفْعُلَ مَا يُوَدِّ دُوَغًا تَرْدَدُ وَتَأْجِيلُ . وَمَعَ أَنْ ذَلِكَ التَّضَاعُفُ
يَسِيرُهُ ، بِعَقْرِبِيَّةِ فَذَةِ ، لَيْسَ لَهُ أَنْ يَسْبِرُهَا ، فَأَحْيَانًا كَثِيرَةً كَانُ
يَجْهَلُ مِنْطَلِقَ وَهُدُفَّ بَعْضِ قَوَافِلِ الْعُقْلَيَّةِ وَالْأَرَادَيَّةِ .

« هَيَا ، اذْهَبْ ! » كَانُ يَتَخَيَّلُ ذَاتَهُ يَعُودُ وَيَجْتَازُ عَنْبَةَ بَيْتِهِ .
عَلَيْهِ أَنْ يَحْذِرَ سَنْدَرِينِ إِذَا مَا حَضَرَ الشَّرْطَ ، عِنْدَ الصَّبَاحِ ، لَا جَرَاءَ
الْتَّحْقِيقِ : الْكَلَامَاتُ الَّتِي سِيقُوهَا لِسَنْدَرِينِ طَفْقٌ يَسْمَعُ ذَاتَهُ
يَتَلَقَّبُ بِهَا . ثُمَّ لَا بدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يُرْبِطَ سَتِيلَا فِي شَنِيلِهَا ؟ وَتَمَّ كُلُّ
شَيْءٍ حَالًا ... ثُمَّ مَاذَا ؟ يَازِمُهُ اجْتِيَازُ بَضْعَةِ مِيلٍ ، مِنْ
الْقَرْيَةِ حَتَّى مَزْرَعَةِ بُوْسَابُو ، حِيثُ يَنَامُ ، هَذِهِ الْلَّيْلَةُ ، بِرَلازِيهِ

وسرسولوت : ها حقاً رفيقان نصوحان مخلصان . قربها مصدر ثقة وقوّة وارتباح عام . ثلاث جمل تكفي : «فت' هنا هذه الليلة دون ان اتحرك الى أي جهة». وسوف يدركون ويفهمون كل شيء مسبقاً .

ونهض وشرع يدور حول القرية مخافة ان يكون أحد قد رآه : سلاب ، عجوز أرق وجلس على عتبة منزله ، فران يجهد فوق معجنه ؟ لا بد للانسان ان يحتاط حتى يتدارك كل أنواع الاخطار . وشاء حسن حظه الا يقع بيته وبيت تروشوت في وسط القرية : للقناص ، لتأجر الطرائد المهرّب ، من الاجدر وجود مساحة ارض حرة أمام البيت . يقع بيت تروشوت جهة الغرب على حافة الطريق المؤدية الى سان مونتان ؛ وبيت رابوليyo على جنب الطريق الموصلة الى الاوبيت والصادعة نحو القناة ومن ثم تختفي في مطاوي الغابة . لذلك كان ميسوراً له ان يعود الى بيته دون ان يعرّ في الشوارع الحطرة المكسوقة الأهلة : له شعابه الخاصة وانسياباته طي الحفافي ، الحواجز يقفز فوقها ، العلامات في الحدائق يحتال بها على دهم الليالي

رَأْيُ الْبَوْلِي

عندما تخون الاعين وتتغدر الاقدام . هو يتحايد الارض المفتوحة حيث القدم تترك اثراً ، فيتبع الشعاب العاشرة والطريقات الصخرية الصلبة اذ فيها يسهل الهرب ويختفي كل اثر اقدم وخطوة .

وجاوز آخر بيوت الاوبيت وكذاك حديقة توراي جمهوره ؛
تخيل خوف توراي لو درى بوجوده هنا في هذه الليلة ، بقى
امامه بيتان منفردان وحديقتان مسدودتان بسياج عالٍ متين ومن
ثم يلتقي الطريق العام بعد ان يدور حول السياج .

- ستيلاء ! قفي هنا . . .

واجتازت الكلبة الحفرة بيسير كثيرو عقب قفزة واحدة ؛
ووقفت في وسط الطريق تتصبغ بذنبها ؛ وقفز بدوره واثقاً
من عضلاته . وكان القمر قد ظهر عن يمينه مسلطًا ضوءه على
طرف السهل المتدرث بالعتمة حتى الآن ؛ وبدأ الضوء يشع
على رؤوس سنديانات الغابة التي ارتفت على صفحات السهام بدلال

رَابُولِيُو

ونجع . وتحرت الاجواء رويداً رويداً من دكن الغيموم
وابانت في الانفراجات نجوم تلمع وتترجرج .

وما فتى حتى وصل الى بيته : بيت منسيٌ هناك ، يستبد
القديم بقرميده الناصل الالون وبمسور الحشب في سقفه وقد
جال النذر فيها جولات فساح . لا شيء لهذا البيت في
سولون ...

ودفع رابوليyo الباب فصمد اذ انه موصد بالغال . فراح
ينادي :

— سندرین ! سندرین !

وسمعت وراء الباب أصوات ارتعاشات حادة ، وسقوط رخوا
لكرسي كومت فوقها ثياب عتيقة . وبعد ذلك انفتح الباب .

وعرف سندرین حالاً وقد لبست قميصاً بيضاء . فتناولها بين
ذراعيه وشدها بحنان وسوق الى صدره فأحس " بحرارة

رَابُولِيُو

جسدها وأحسّ خصوصاً بما ينتابها من رجفة وارتعاش وذهول
وهي تجمجم :

— هذا أنت ! هذا أنت ! يا عذراء رحماك ! ماذا أرى ؟
وماذا يحدث ؟

وتتكلف الضحك علّه يهدّد رعشتها ومخاوفها وقال :

— لم يحدث اي شيء ! لا أدرى حافز ما يستشرى في
أحوالك من رعدة وحدر ... عودي الى سريرك حتى لا تستطيل
اللمى على قواك .

فرضخت وهي ترفر حزين التوبيخ :

— ماذا جرى ؟ وماذا فعل ؟ آه ! أه ! أه ! للشيطان ، لا شك
أنك سترمي بي الى الحضيض الموجع يا رابوليyo ! ...

ترقب ذلك منها وعزف عن مجرد التفكير به . ولكنها الآن
في لجة العمر ، يتملئ الى ما لا نهاية له من الاحزان التي تقصم

لِرَابِيعِ الْأَوَّلِ

والحسرات التي تجربه فتدمي . فولا ، تروشوت ، بورييل ، ليسوا شيئاً في حياته وقلبه وعقله في رهبة هذه الساعة . ما يرضه الآن رضاً أحزان سندرين وتشكينها الطاهرة الصادقة ولا ندحة له من سماعها رغم ثقلها على صدره ووطأتها على كل قواه . آه ! يا لسبيلٍ وعرةٍ تسلك وحجارةٍ تصدم جراحاً تتکأها وتتدميهَا ! حلمٌ مريرٌ وفي العقبات الكثاء والخفر الخطرة وربما الموت المريع ! ... ولكن لا بدّ لرابوليتو من اجتياز كل ذلك ؛ فهناك في نهاية الشوط هدفٌ يتحتم عليه أن يبلغه ؛ ويشيي ويحاجد لا تني الصعوبات تصفعه وتدميه ؛ ويتعلّف في طريق الليالي الغباء والاهوال الرعناء ...

وراح يحيل النظرات حواليه مستشفاً حقيقة أشباح المتع الذي يشكل جزءاً حبيباً من مصيره وكيانه . تند الغرفة على البيت كله ؛ في جانبها قنطرة يقود نحويفها الى القبو حيث كان يخزن الحليب والمؤونة للعصيب من الليالي والايام . في الوسط استوت الطاولة ، ضخمة ، يحيط بها ثلاثة او اربعة مقاعد

رَابِولِيوُّ

من خشب مع بعض الاسكملات . ما بقي من اثاث مصفوف على الحائط المكلس ؛ في اليسار صندوق من خشب الكرز البري تفصل بينه وبين صندوق حديدي ساعة مطعمه كبيرة علقت على الحائط ؛ وفي اليمين سرير رابوليتو وسندريين ، مغطى بـ كريتون أزرق وأبيض ، تقبّبت فرشته من قش بين ركائزه الأربع . ثم سرير أصغر نام فيه ادمون وليونار ؛ الاول عمره خمس سنوات والثاني أربع لا غير ؛ سيلفي آخر مولود ، عمرها ثلاثة عشر شهراً تناه في مهدها جنب السرير الوالدي .

مع ان الدرف أغلقت التواخذ فقد تسرب ضوء القمر من الباب الزجاجي المطل على الحديقة . شاعر عريض رجراج يبدد العتمة . والأشياء واحدة واحدة تنبض حياة جديدة غريبة ، وحقيقة فجحة مؤلمة . فوق رف الصحون تكددست كتب عتيقة متهرئة لكترة ما قلبت صفحاتها : روزنامات ريفية ، تفسير أحلام ، روایات شعبية لا تخلو من قذارة واسفاف . ورفع كتفيه : سندرين تطالع كثيراً بدون اي افاده . هي تؤمن بكل ما يحكى لها من خرافات وشعوذات فتزيد عصبية وتتأثر ،

وتغتسل في هذه الكوم المتكدسة عن شرح لأحلامها فيتها كلها الحدس ويفري أيامها الماجس الخبيث . يا لسندرين المسكينة ! انعدم عندها التوازن العقلي والرأي المادي ، الصادق . ورابوليتو تعوزه زوج تتشجع وتتجزم وتسك به ، قوية صامدة ، لو سولت له النفس سبل الفرار والهرب ؛ ولكن وداعه سندرين وشكواها المتأوهه وأنوثتها الضعيفة ، كلها لا تجيد إلا البكاء والتحبيب .

رابوليتو وحده في ساح الجهد . كل شيء في الغرفة : الآثار والامتعة ، الصغار النائمين ، نحيب سندرين ودموعها أضحي عنصراً هاماً في الكفاح الذي يخوضه ضد ذاته ؛ وحده مرغم أن يقصي عنه أسباب بؤسه وتلوعه دونا رفد أو معين ! ... ثم ان استحاللة الفوز الخامس السريع بدأت توجع قواه ولكنه مع ذلك تخطئ استكانة التشاوؤم وجدد العزائم . واقرب من سرير سندرين وامسك يديها التحيلتين والحنى صوبها يهمس :

— اصفي بانتباه ... لا شك ان الشرط سيحضرون للبحث عني ، هنا ، عند بزوغ النهار ... اوه ! لا أريدك هكذا

رَابُولُوْمَ

تبكين يا حبيبي ! القضية بسيطة لا مجال فيها لأي خطط :
أرانبُ ضبطت عند تروشوت ، ولا دخل لي فيها ... ولكن
لا أريد أن يعلم الشرط اني أمضيت الليل في بيتي او في
الجوار ... ذلك كل ما أريده منك . قولي لهم اني قضيت الليل
في بواسابو . أفهمت ؟ أنت لم تشاهدني رابوليتو منذ صباح
البارحة ...

وساعده انخناوه على اكتشاف الاصرار الشامل يحتل وجه
سندرين ، وواسعة الحسرة تغزو عينيها ، وارتعاش سفتيمها النصف
مفتوحتين . وتأوهت زافرة :

— رحـاك يا عذراء ! ربـاه ما تخفيـه لنا الايـام ؟ ! ...

عـصـره الـاسـي عـصـراً وـهـوـ يـراـها تـبـتـئـس وـتـعـولـ وـلـكنـ
سرـعـانـ ماـ اـهـتـاجـ وـاـعـتـلـىـ السـخـطـ فـيـ اوـحـالـهـ فـجـبـهـهاـ معـنـفـاـ :

— إـخـرسـيـ ! مـتـىـ تـقـلـعـينـ عـنـ مـضـايـقـيـ اـيـرـوـقـكـ اـنـ تـرـقـيـ عـلـىـ
أـقـدـامـ الشـرـطـ تـسـترـحـينـ ،ـ عـنـدـمـاـ يـحـضـرـونـ ؟ ...ـ أـلـاـ فـاعـلـمـيـ اـنـكـ
سـتـلـقـينـ جـزـاءـكـ لـوـ أـصـبـحـتـ فـيـ السـجـنـ ...

رَابُولِيُوْ

وحاولت التملص من قبضته وهي تدمدم :

— آه ! آه ! انت انسان فظّ رديء .

ولكنه حملها الى صدره وطفق يقبلها بحنين وشوق وحب
بينما هي تستعطفه قائلة :

— لا تتركنا يا رابوليyo ! لا تتركنا بعد الآن بل ابق
هنا معنا . الصغار بحاجة ماسة اليك ثم كم اكون سعيدة
بقربك ... آه ! لو أقلعت عما تفعل !

— أحنّ الى ذاك بكل جوارحي ... أجل ! بكل
جوارحي ...

— ما الذي يمنعك ويصدقك اذن ؟

آنذاك شرع صدره يهبط ويرتفع ، فلاذ الى الصمت
الرهيب ... ما افاده الكلام ؟ الا لفاظ لن تبدل شيئاً بل
ستضاعف الرضّ والايلام وتنقوي من التشبث بالخطاطي الموجود .

رَأْبُولِبُوك

كفاء وجعله وألمًا؛ كل دقيقة يقضيها تؤثر سعير الآلام في حنابله. «الصغار بحاجة ماسة إليك... أكون سعيدة بقربك...» الفاظ تصدي حتى أعمق أعمقه وتركت في حواسه شبه دوار مضن.

وبدأ يتراجع خطوة خطوة . خلف زجاج الباب الصغير ، الليل ساج ينعش الجفون وتتسرب شفافيته الى المطاوي بلطف ونعومة ؟ تسمّر نظره يتأمل الزجاج فيها الهواء المضغوط في الغرفة تحول الى بخار لا يخلو من عفن وامهاتاز ؛ الظلام يتربع بخمول وثقل في الزوابيا ؛ الا ثاث بدا كمن يحاول المرب خلسة ...

- الوداع ، يا سندرين !

وأصبح خارج الغرفة بقفزة واحدة وأخذ يعب نتي الهواء جرعات واسعة . فاستعاد النشاط وانتعشت قواه كلها دفعه واحدة : الهواء يتسلل الى حنابله بشمول ويغمر كل واحدة من أليافه في خدره ويئمله ...

رَابِولِيوُّ

القمر يسيل على جوانب السماء موجات فساحاً من الاخوا
الزيتية . الحقول المخصوصة تترجم في غمرة النور فتراها الأعين
بساطاً محظي الممس ... على بضعة أمتار السولدر ، بوزيدان ،
السوڤاجير ... « اسرع ! اسرع ! يا رابوليyo ! ». هو يرتعش
غبطة وحرية وطلقة تحت تأثير نشوة خفية غامضة . قوى لا
ترحم تشدء دونها هوادة الى هناك . فالتفت الى ستيلا
وقال :

— الى الطريق ! الى الطريق ! يا صغيري ! ...

واحس دفء اسان الحيوان على راحته ثم ما فتى حتى امتد
الى فؤاده . وسار خفياً متمتماً :

— الى الامام ، يا ستيلا ! هيأ ! ...

وبلغ الطريق يمدّ على الحشيش الرطب دعسات متابعة ،
مرنة ، نشيطة . حذاؤه لا يحدث اي صوت وضجة حتى ستيلا

رَابِعُ الْبُقُول

فقد عمدت الى الابقاء على السكون والهدوء، وهي تسير الى جنبه ، محبب منتظم متتابع ، خافضة أنفها.

الصمت شامل يخلع وشاحه على الكائنات جميعها . وبين فترة وأخرى يتمتم بفرح وانشراح :

— سنصل ! اطمئني يا ستيلا ! ... سنصل ...

٤

مشى دابوليو مسافة لا بأس بها في ليل يبعث ذخراً الحياة في الاوصال . وسرعان ما التقت الغابات الطريق فاكتنفتها . هو وستيلا يسيران في الظلال التي تؤلف حاشية الغابة ؛ عن شعماها تشع احياناً شرارات من احتكاك حجري صوان ؛ وعن عينيها ، طي "الاغصان العارية" ، اطيخ ضوء القمر بهوي فيستحيل شبه غدران تتلألأ بين سندانات فتية صمدت أوراقها السوداء ، غبيدة ، امام شبح الموت والفناء .

واجتازا الجسر ، على القناة ، فأشرفا على سيل مياه مصفرة وخدق ذهب بعيداً جداً في احشاء الارض ، تعكس على جوانبه العالمية صور وأشكال تترجرج في شحوب اشد امتناعاً من ضوء القمر وخيوطه .

رَابُولِيُوْ

الاخوااء الضاربة الى الزرقة امتدت فاستطالت فوق المروج
الغافية الساجية والمستسلمة الى سبات غريب حذر يشبه اعيناً
جبارة تتأمل الارض بها اجواء السماء . الطريق تصعد ثم تنحدر ،
دونا عقبات ، متساوية مع التلاع والوهاد .

الغابات بدأت تختفي رويداً رويداً ؛ والسهول انفسحت
تبיע للناظرات ابعادها بعد ان ازاحت عنها الحلكة ؛ وصنوبرات
تصدى هنا وهناك وقد عبق الهواء بروائح صحفها ، بعضها
قريبة جداً تظهر السماء خلال جذوعها السوداء المتفرقة ،
والبعض الآخر تراصت في البعيد كوماً لزيرة لا حراك فيها ...
وقال رابولييو :

— لا شك انها ليلة من ذهب ، يا ستيلا ...

هي ليلة من ذهب اذ القمر في القام . اما عند القناص الحقيقي
فما اوفر الليالي الذهبية في الشتاء ! وذلك يتعلق بحاسة الشم
عند الرجل ، وخفته في القنص ، وتنوع الحيل واللاعب التي
تنفر في كل ليلة ؛ فهناك الليالي العادة العاصفة تستدعي القنديل

المشع ؛ والكثيفة الضباب المصرفة ، تضج بالرذاذ على الاوراق
الثئيرة وتقود القناصين الى الاشجار السامقة حيث التدارج
ترى دوائر سوداء على الاغصان وطي الاماليد ؛ والمثلجة التي
تقود قسراً الى تخوم الغابات القطبية حيث لذة ترصد الارانب
تنطنط ساغبة فوق السباريت البيضاء .

وبقيت ذكريات الليالي الذهبية تتوالى على حافظة رابوليتو
وهو يتتابع المسير . ساعات رقيقة ماتعة غنية بالمسرات الماضية :
يزداد فرحاً عند كل خطوة وخلف كل ذكرى ؛ حتى سبتلا
اشتركت معه تنوع الافراح وتشيع فيها لطافة ودفء أمانة
واخلاص . وابتعدت اليها وقال :

— لقد مسينا مسافة لا بأس بها ، يا عزيزي !

فرفعت رأسها دون ان توقف عن الحبيب وبصيغت بذنبها
صامة خرساء . وانحدرا مع الطريق ؛ في وسط السهل امامهم
ابخرة صفراء تتسحب في ضوء القمر ، خفيفة ، مرتعشة وشفافة ؛
خيازر ملساء تلهي مع بهدوء ، قصبات امتدت اوراقها تترطب

رَابُولِيوُّ

وتبتعد، وبركيات ضخمة تتطاول عرانيتها ذات الرؤوس الحادة. واصطفت على جانبي الطريق اشجار صفصاف تشابكت أغصانها وامتدت ظلاتها تتلاعب بเงع ودلال على صفحة العدير المجاور.

هو غدير بوزيدان تحيطه الارض المفروحة وقد تزنت بجزام من العشب الخليل الاخضر. على حافة المنحدرات غابات من الصنوبر تتحدى رؤوسها السماء؛ وقد ظهرت على رأس تلة قرية بيوت مزرعة وعمودرة تكونت هنا وهناك بدون مساواة وانتظام.

راح رابولي يسير في وسط السهل مصدراً نحو المزرعة. القصب الذي كان ياسه في طريقه لا حياة فيه الا حفيظ الاوراق النثيرة المترضضة. المدوء شامل يبعث الريبة والاحذر لا يعكره الا طيران بلشون أزعجت وحدته وأنتهكت سكينته، فزف مطلقاً صراخه الغريب وعجبجه الحزين.

واجتازا غابة صنوبر ازداد الانفراج بين اشجارها بعد ان

رَابُولِيُوْمُ

سُطٌّت فؤوس الحطابين علٍّ جذوعها قاسية عاتية . وانطلق رابولييو يعب ملء صدره اريجاً وهدوء ليسل وعطور نباتات خضراً، فاغمة ، زد على ذلك طيب النسغ . واحياناً يقف لحظة يتأمل فطراً وقد تأب في قبعته نمير الابر . وكلما يدنو من المزرعة تتبدل الروائح ؟ فهو يشم الآت عفونة سناج رطب وننانة زرائب الحيوانات والطيور والخنازير . وهو يمشي حذراً دوماً من جذوع الاشجار التي تصدم فتجرح او ترض . ورغم كل انتباشه فقد صدمت قدمه احياناً كوز صنوبر جاف او دهست فطراً او ركلت حبراً ... ولم ينس ستيلا وتعيها فمال اليها وحدتها بمحب :

— لا شك انك تعبت ، يا حلوي ! لا تركضي بل سيري على
رسلك ، الى جانبي ...

وكانا قد وصلا الى مزرعة بوزيدان ، وارتقت امامها بيوتها المستوية تحت سقوف قرضاها الاشنة ؛ في نافذة احد البيوت زجاج يلمع ويشع في ضوء القمر .

رَابُولِيوٌّ

— على مهلك ! على مهلك !

وسمعت في المزرعة كلاب تنبغ . وفيها ايضاً المزارع
بواسينو الذي ينام نومة هر ؟ من الجائز انه لم يتضايق من
وجود رابوليوا . فهو رفاله في تحرير غاباته وحقوله من عبث
الارانب دونما جهد وعنان . وفضل رابوليوا الا يزعجه فتركه ناماً
تدغدغه الاحلام . من الجائز حتى السياجات المتشابكة ثم
حواجز حديقة العرم توالى قفزاته ، طيبة ، سريعة
وستيلا في اثره مثل ظله . ولما بلغ مرتفع التلة وقف يرتاح
مستعيداً بعض قوته .

واكتشف من هناك مسافات شاسعة من البلاد . امامه ، في
اسفل التلة المنحدرة نحو الجنوب ، ينبعط غدير بوزيدان على
حافة الطريق التي ظهرت امام عينيه ، واضحة متعرجة وملتصقة
بالارضي ؟ ثم غدران اخرى تلتمع صوب الغرب شيئاً برايا
واسعة كامدة ذات نطاق جليّ . وشرع يسميهما بينه
وبين نفسه : هارديلات ، لوغي دي لاغيت ، شانتاو ... عن شمال

رَابُولِيُو

العدران ، في اتجاه القناة والضاحية ، كانت حقول ومرروج كبار الملاكيين ؟ ونرّأه فيها نظراته باختصار عن الثلاث مزارع الصغيرة المشابهة . وسرعان ما استدل عليها الواحدة بعد الأخرى . وداخله سرور جم لأن هذه الليلة اكتنفها الجمال وهدفتها الغبطة . ثم ان خوء القمر العطوف اباح له رؤية ادق الاشياء واخفها . عن عين العدران عادت الغابات الملتقة تحفي الطريق في مطاوي ظلامها حتى مشارف السوقاجير .

واستدار رابوليتو نحو الشمال ؛ من هذه الناحية ايضاً يشرف تل بوزيدان على فسيح الارجا . ومئات المكتارات من السهل والمرروج : سهل مزروع يتلقى غابة السوقاجير بوفرة من الجلاليل واللزان ؛ ومن بعد مرروج تترعها مياه نهر بوفرون ثم تند حقول شانتفان حتى تلامس اراضي بواسابو .

كانت نظرات رابوليتو تروح وتحجي ، تسبو خفایا السهول دونما فتور وتعب . هي مشدودة دوماً جهة الشمال حيث سهل بوزيدان ، غابة السوقاجير ، الحفرة الماءاثة بعد ان جف فيها ماء

رَابُولِيوُّ

الغدير . واستدل بسهولة على راتينجيات الجزيرة والطريق الممتدة من الجنوب حتى الشمال بين مزرعة مالقو وبين السوقاجير : مالاتير ، في مالقو ، يجب ان يكون قد نام . ولكن تورنيفه ! من المتحمل انه ليس في البيت وقد نامت تازى وحدها .

نظرة اخرى تسير ، نحو الشرق ، حتى تلة شبيهة بتلة بوزيدان . بعد المسافة لم يساعدة على رؤية البيوت والمزرعة ، حيث يقع ، هذه الليلة بولازيه وسرسولوت ، ومنزل الحفراء والتواطير ومسكن الكونت دي راميريه العتيق الذي يشبه شكلة جنود . الكونت لا يلتجأ اليه الا في الصيف وفي بعض الليالي التي يشوقه فيها الصيد والفنص . اما تانكون العجوز فيقضي سنته كله لا يرحة ، ولا حرج عليه في ذلك فهو عزب تقوم على خدمته زوج احد الحفراء .

رابوليyo على علم سابق بكل ذلك . ليس من رجل في هذه المنطقة التي يطل عليها الا ويعرف مسكنه وروحاته وغضواته وما يتولاه وينفذه من مهام واعمال . اما المطرح الذي علق به

رايوليو

فؤاده ، في هذا الخريف المودع ، فهو الوادي الذي ينفتح بين مرتفعات بوزيدان ومشارف بواسابو حيث يجري نهر بوشبراند بخفاء وتستر . فمنذ نهاية السوقاجير على ضفة المستنقع المزدحم بالقصب والاعشاب والاسجار المتصدية لفضول النظرات ، يبدأ غدير بوشبراند في الاختفاء . يتآلب حوله الصفصاف والحوور ويكتنفه العليق والاجم الوفير . هناك كوخ يعيش فيه قولا مثل ذئب ؟ تشاركه تلك الوحدة القاسية فلورا وابنته دلفين .

مالقو ، بوشبراند ، السوقاجير ... من الجنوب الى الشمال ، من غدير الى آخر ، ساقية بوشبراند تسيل حاذية الطريق الطويلة . لا بد لرايوليو من السير على طول امتداد الساقية ، فالطريق عمر قرب البيوت وخصوصاً قرب السوقاجير وقد لا تخلو من خطر اكيد مداهم في هذه الساعة . وتفشت فيه رعشة راحت تحمله بقوة وعناد ...

وقبل ان يجدد المسير ألقى آخر نظرات سابرة على السهول الحالمه الغافيه . المروج تستطيب الراحة والفتور وأضواء القمر

رَابُولِيوُمْ

تسيل فيها بفتح ودلال. السكون الوزين يلف "الغابات والغدران بالف وساح من الراهبة : لا نامة ولا جرس ، فكأن الكائنات فقدت كل خفان وحياة .

وللمرة الاولى ذاق رابوليوا أطاييف الحرية السائفة . هو يفعل ما يريد ؛ يضن بنطفة زهيدة تضيع وتذوب من ذلك الاختباء الذي ملأه وتفشى في حناته وخفاياه . جبذا لو استطاع دوماً ان يقف وجهه على النسيم يداعبه ويهدده ؛ لو قدر له دوام المثير وستيلا الى جانبه ، غيرّن حواسه ويعزز ويقوى غريزة حب الفنص التي تجري في دمائه وتحتفق في فؤاده ... وتضاعف تفجر الفرح في روحه حتى تأكده ان مثل هذه الليلة لن تولد من جديد ! ...

في المروج الرطبة مدرات الصلصال ترتجف وهي تطلق همسات اسفنجية ؛ وعلى حفافي أحد البنابع المتلألئ بين أنمايم الحشائش والاعشاب الخن رابوليوا وقلع خصلة من الجرجير وقضتها جذوراً وأوراقاً يطعم بلذة حوضتها وهي تلسع

لسانه وشقته . واجتاز بوشبراند بواسطة جسر خشى أحكم وضعه ثولا ؟ بيته يقع في القرب وقد اخترى تحت أغصان شجرة كرز بوي . وفطن ، فجأة الى فلورا وتأكد له انها وحيدة في البيت لأن ثولا يتولى مع رفاقه حراسة السوقاجير . واسرع خطواته بينما راح الدم الحار يتجمع في وجنتيه . وتطلع الى ستيلا وقال :

— على مهلك ! يا ستيلا ! ...

ثم تابع سيره وحواسه كلها نترصد وتترbus . وأخذت أجواء الصمت تتبدل فكان يسمع بين لحظة وأخرى خشخشة وحيفياً : ريف ريش في أماليد ، ابن عرس سلاب ، عقعق ازعبت وحدته . وأشار الى ستيلا فوقفت حالا عند جذع سنديانة وراح تستنشق رطب الهواء .

وبعد ان تفحص المسافة حواليه كلها وبدققة عاد يسير ، وستيلا الى جانبه ، سالكاً طريقاً في محاذة غابة صنوبر . وكان غدير السوقاجير قد أضحي عن يساره وعقبت في أنفه رائحة

رَابُولِيوُمْ

الوحل النتنة والمياه الآسنة . وتابعا المسير تخفيفها صنوبرات لزبزة وهو يسجل في حافظته أشياء كثيرة وفوارق لا بد له من العودة إليها يوماً من الأيام .

وأشرفأخيراً على بيت تورنيفيه وشاهد بوضوح الشنيل الموصل حيث يبيت الكلاب الثلاثة . ولمح أيضاً، قرب الشنيل، شبحين غامضين يتحركان ، انسانين وقفوا جنباً إلى جنب .

وركز عينيه بتفحص بدقة أكثر فيها يده استلقت على فقار ستيلا . الرجالان ، هناك ، يفتحان باب الشنيل ثم يفكان مربط كلب ضخم راح يقفز حولهما وهما ينتهرانه :

— حافظ على المدؤ ! يا دفوران !

وعرف رابوليتو صوت تورنيفيه . وأصفى إليه يتبع قائلاً :

— إياك ان تخاف !

والرجل الآخر كان تانكون وقد وقف بقرب تورنيفيه

رَابُولِيوُّ

الذى انحنى قليلاً حتى يضع الحناء للكلب الضخم . وارهف سمعه عليه يستطيع ان يفهم شيئاً من الممسم يطلقه الرجال . واستطاع ان يفهم أخيراً تصمييمها على ما أراداه . وراح يبتعدان ، وقد أدارا ظهريهما صوب الغدير ، واتجها الى غابة السوق الجير . آنذاك قال :

— لقد بدأت مهمتنا نحن الآن ، يا ستيلا . وتضاعف تأثره وعزم وتصميمه كان قواه اكتسبت سيلاً من خفة ومهارة . وضن بكل ثانية تذهب سدى . وبعد خطوات زهيدة لامست يده سياجاً . لقد كان هناك فوق برك الاختيار : حقل فسيح يبور حفلت الاعشاب والحسائش في جوانبه كلها . وقفز فوق السياج حاملاً ستيلاً بين يديه كسباً ل الوقت . ولما استوى اطلقها فراحت تundo بسرعة في كل جهة ، ولم تمض ثوان معدودة حتى عادت وارنب يتندى مختلجةً في فقمها ...

— هيا ! اذهبي من جديد !

وركضت من جديد فيها اسرع رابوليyo يحطم فقار الارنب

رَابِيُّلْبُوكُمْ

فرحاً متهلاً . وتوالي رجوع ستيلا وذهابها والارانب تتقدس في جعبتها .

انها، ولا شك ، ليلة من ذهب نادرة الوجود ! فقد اختفى الشيطان تحت جلد الحيوان الاسود الصغير ... ولم ينس رابوليتو ان يبعث عيناً سابرة حذرة ، بين فترة واحرى ، الى بيت الحفيرون غابة السو فاجير ، بينما يداه لا تتخلسان في تحطم فقار الارانب بنشوة واعتزاز لا مثيل لها ... ونظر الى الجعبه فإذا فيها ارانب ثانية لا تزال بعض قطرات من الدم عالقة على صوفها الاملس الطري .

وبحافه سمع ، في البعيد ، نباحاً صاحلاً سرعان ما تحطم في ضباح كلب قتيل . فأمر يده على رأس ستيلا وقد جمدت قربه لاهثة وابتسم قائلاً : « اجل ! ليست الكلاب كلها اميونة ماهرة مختالة ! .. لقد تعجبت يا عزيزتي ! ثم اني خور بك كل الفخر ... » وكان عدد الارانب في الجعبه قد اصبح اثنى عشر ارنبأ ...

رَابُولِيوُّ

ومن بعد حث السير الى مزرعة بواسابو. عليه ان يتلقى
بلازيه ورسولوت ويبلغها ما اراد من اسرار. اما ستيلاء
 فهي ذكية جداً اذ يكفيه ان يدها على الطريق ويطلق لها
الحرية لترجع وحدها الى شنيلها ...

ونظر رابوليتو وتحسس الهواء الرطب يلامس محياه ثم فك
ربطة عنقه واطلق صدره مسرحاً لمداعبات النسيم. وسرعات
ما زال عنه الدوار ؛ واستشعر حالاً بشره الحقيقي والراحة تدبّ
في جسمه دليلاً. واقبه نحو غابة السوّاجير وهو يردد في ذاته :
«لقد احسنت القنص . . . واحسن» كتفي يوجعها ثقل الارانب
التي احملها ... والآن انا اذهب لاني اريد الذهب ، ولاني انهيت
عمل ما اردت ان افعله ».

القِسْمُ الثَّانِي

١

دفع تانكون العجوز باب فولا دون استئذان وقال
بنشوفة :

— صباح الخير .

وترى ث لحظات على المسامة تصايقه رائحة الدرن تحتاجه من
كل جهة فيها راحت عيناه تستطلعان ملمس الظلام .

— صباح الخير، يا سيد تانكون .

رَأْبُولِبُولٌ

جاوبت فلورا بسكتة واتضاع؛ ذلك امر فوق طاقتها :
قريبة من العجوز راحت تنظر اليه من اسفل من وراء اهدابها
السوداء؛ تتبعث من حدقتيها نار وقحة لا سلطة لها في كبحها .
ثم قالت :

— هيا ! اجلس مدي دقيقتين .

— اين قولا ؟

— يحضر بعض اللوبية ... هيا استدعيه يا دلفين .

و لما ايقنت ان شيئاً لم يتمتحرك رفعت صوتها و اعادت :

— اين انت يا دلفين ؟ تباً لك من جربة رديئة ! هل اصابك
الطرش حتى أرغم على الصياح هكذا ؟ ام انك بحاجة الى بعض
لطمات على دأسك ! ؟ ..

و تحرك ، جهة الموقد ، السوداء من السناح ، شكل نحيل يبتنا
سمع صوت مرير يرتجف بغضب ويقول :

رَابِّ الْبُوَرْدَةِ

ـ انا ذاهبة ! انا ذاهبة ! لماذا كل هذا الصراخ ؟

وكانت دلفين قد أصبحت خارجاً دون ان يستطيعا اكتناء
فسماتها . وتابعت فلورا تقول معتذرة :

ـ هي نحيفة نحيلة قدرة يا سيد تانكون وقد لا تخلو من
خبث رواغ ... هيا فاجلس اذن !

واتجه تانكون الى الباب دون ان يحيط وراح يراقب السلم
الموصلة الى القبو . وحالا ظهر ثولا وعلية امارات انسان شعر
باتزعاج مفاجيء : مطرقبته واجال نظراً حذراً ؛ ولكنه عندما
لمع تانكون نزل بسرعة :

ـ ألا نذهب الى الفدير ؟ قال العجوز بصوت عالٍ . فهناك
بعضة خيوات يجب ان تسدد . ثم اظن ان بواسينو قد احضر
لك الغضار في هذا الصباح ...

ولم تنقض الا فتررة يسيرة حتى تابع تانكون بسخرية
وحقد :

— هل رأيت؟

— ماذا؟ سهل السوّاقاً جير؟

اجاب ثولا وقد احنى رأسه وانتفخت تجاعيد جبينه
القاسية وتتابع متمماً:

— ليس هو؟

وكانا قد بلغا ضفة غدير بوشبراند. لا ارتعاش على صفة
المياه القاتمة. ولكن في الناحية حيث وقف الرجال، الغابة
تكتتف الغدير، تضايقه وتغزوه. عليق وسنديان قطيل وحور
وصفصاف كلها تكاثفت وتألبت على الضفاف؛ وهناك ايضاً
قصب مصفر واخامي الشنة ذات الاخضرار الموحل والسوق
بلون السؤر تتبعثر في كل جهة وتتنصب في ارتجاء؛ صفائح عريضة
من النيلوفر تتلامس رؤوسها ببرودة معدنية ونشوفة.

— اذن! قال تانكون.

هما يتفاهان بنزد من الفاظ. حتى صيّتها كان ذا معنى جلي

رأي في المثل

موضوعي . بين قولا و تانكون تحالف حيم صامت متعدد البنود حتى لا تتسع لتسجيلها الاوراق الرسمية والقوانين المرعية المألوفة . معرفة احدها للآخر شاملة عميقه بدون اغوار : هو اجدر تحالف واقنه واوته .

مازال قولا يفكر . القضية التي تشغله في هذه الساعة هدف حياته و حافزه الى الوجود الفعلي . أما تانكون فهو تبع له في كل شيء ، تفرض ذلك عليه مصلحته الخاصة .

من الطبيعي ان الرجلين يتمنيان ويستهيان وجود قناص يحول في اراضي دي راميريه ؟ خفراء الكونت لا قدرة لهم على القيام بالعمل كما يجب . المطلوب ابادة حقيقية ، ناجعة ، حاسمة لا تخلو من افاده ؟ كان قولا يبيد الارانب يستردد في سبيل ذلك الفخاخ ، الاشتراك والاحفر ؟ يصطادها حساب تانكون الذي يبيعها فيغم دربهات لا بأس بها . ان رجلا مثل تانكون خبير باساليب العيش والحياة : في مونت - بوفرون وروماننات وبارييس شباكه مرمية في طول وعرض واصدقاؤه وفراة يعملاون كثيراً

رَأْبُولْ بِعْلَمْ

ويزهدون في الكلام . هم عملاً يقودهم العقل الراجح والمكر الوزين الزعاف . ولكن لا بد له ، هنا ، من قناص جريء ، عنيد ، ثقة ، روّاغ ، لا يستطيع الحفراً والتواطير مداهنته بخفة وبسهولة ؛ قناص مثل قولاً .

منذ سنوات خمس اقامه تانكون في بوشبراند . وكان الرأي العام يعرف قولاً مؤاكراً يتولى زراعة بعض الاراضي حول كوكبه . زد على ذلك ما يتقاداه حصة ثابتة اكيدة من الطرائد والقنص . فتأنكون رجل يعرف كيف يغمض عينيه أحياناً كثيرة .

وقد كان تانكون الرابع الاكبر : فوائد الصيد والقنص وناظور محترس حذر مواطن . قولاً قناص فريد حسود راصل . فالعزلة حيث يعيش ، بدائية بوشبراند ، الحوادث التي ملأت ماضيه ، خشونة هيئته وتجدد تصرفاته كلها عملت حتى توجد حوله فراغاً فتبعد عنه المنافسين . لا احد يمكن من الاستدلال الى مصدره ، خلّ ما يعلمه الناس انه خلف ميلوريو الذي اودت بحياته رصاصة

رَابُولِيوُّ

طائشة . هو اذن غريب مجهول سايم ، يستبيح كل شيء لقاء بعض المال ، ولذلك لا يعد صياداً شريفاً ...

انقضت خمس سنوات حتى الآن والاتفاق بين تانكون وفولا لا يزال وثيق العروة لا انفصام فيه . اراضي الكونت راميриه يتقاسمها الرجلان ؛ من بوزيدان الى بواسابو ، ومن ما القو الى السو فاجير ؛ يستمران الزرع والنبات والطيور والحيوانات بحب ونصح واحلاص ؛ وكانت بوشبراند القلب النابض ونقطة الارتكاز ، فيها كوخ فولا ... وللمرة الاولى اتي من تجرا على اقتحام العرين ! ذلك الواقع يقنس ويختال في عقر دارها ! .. لن يتماذا في استرداد كل شيء للذود عن الكرامة ، بقسوة وعناد ...

سبعين رابوليyo يلاحق فولا منذ يومين . يلاحقه بنظرات ساخرة تقتحم ، بأيدٍ تحطف وتسلب وتجيد نصب الفخاخ والاشراك ... رابوليyo قوي جداً لا شيء يحول دون بلوغه اهدافه ! ليس امام فولا ، اذا رسخت قدم رابوليyo ، الا وضع المفتاح تحت المسامة والهجرة والتشرد من جديد ! ..

رَابُولُبُونْ

ولكن لا ! لا ! هما اثنان ورهن اشارة منها كل الالالسة
والعفاريت ! خصم رابوليتو قولا الذي تتأكله حمى الحقد ويسيء
في عروقه سبق " الى القرم ؛ قولا الحطر الرواغ الصؤول . انه
صل " استدفاً الهجيرة فتکور ، ونجاة دُس على ذنبه ، فتارجح
رأسه السام ، وصفر ... فالويل لمن يقف في طريقه ! ان لدغته
تميت وتبييد ...

ومشي قولا نحو الكوخ بضعة خطوات ونادى :

— ايه ! اليّ حالاً يا دلفين ! ...

وظهرت فلورا على المسامة وهي تحبيب :

— اليست دلفين معك ؟ فقد غادرتني منذ ساعة .

وهرول نحو الكوخ فتسلق سلم القبو . وانحدر حالاً
يجر جر خلفه دلفين التي راحت تعاند وتخنق رأسها في صدرها
اتقاء للطهات المفاجئة ؛ ورمها على الارض فهوت ثم استوت
حامنة واسرعت تعدو ... فانتهرا :

رَابِّ الْبَلْقَاءِ

— ارجعني الى هنا ، ايتها الجيفة القدرة !

وركض في اثراها وامسك بها وهي تحاول الانزلاق والاختفاء
بين الاشواك والعليق . فهو ت على وجهها صفتان قويتان زد
على ذلك رفatas عديدة ارغبتها على السير امامه مرتجلة خراساء .

اما تانكون فقد لزم مكانه لا يتحرك لان ما حصل لا يعنيه .
ونحبين طاق فولا به حتى يعلم ما سيحصل . ولم تمض لحظات
يسيرة حتى ارتفع صوت فولا من جديد :

— لقد كانت تراقبنا ، تلك القدرة ! ثم لا تنس يا تانكون
ان في حنایها ختل كثیر ومكر وفیر .

وكان دلفين تنظر الى تانكون من خلال شعرها المنسدل
المشعر : شعر فاحم قاس مثل السيف . وجهها يتلوت مثل
الحرباء فهو تارة مخاتل ذكي وطورا يتلفع المسكنة واستجداء
الرحمة والشفقة رغم ما يتردى به من امارات الحقد الوجيع اثر
ما انهال فوقه من لكمات وصفعات .

رَابُولِيوُّ

... وهي ايضاً تكذب ، تابع قولا . في مقدورها تلتف
احذق الناس في احابيل مكرها ...

- اتظن انها قد عرفت اي شيء؟

- لا شئ في ذلك . ولكن كيف نستدرجها الى البوح؟! ..

- ولكنها ما كذبت عندما قالت ان رابوليوا قد نصب
الفخاخ والاشراك ! .. ولو كان بوريل اشد مهارة لأنقى القبض
عليه في منزل تروشوت ... المست على حق؟

وغض قولا سفته يستشعر المذلة والاحتقار . خدع امس
خدعاً . تلاعب به رابوليوا بـ حذق وذكاء ! .. ولكن ، صبراً ،
سيقطع دابر كل عض افأك حتى ولو كان رابوليوا ...

وتثبت مالكورتووا يكظم رعشات الحنق . شرد على فمه
ابتسام سافه . وامسك ذراعي دلفين النحيفتين الصلبتين المتسمعتين
تحت الاسماك وججم :

رَأْبُولْبُولْ

— هل عملت ما أمرتك به؟

فلم تجرب وبقي نظرها مغروزاً في التراب. انذاك اقترب منها تانكون ومس رقبتها بيدوه واردف:

— اطمئني ولا تهلي يا دلفين ... اقري يا تعلمين ... هيا !
وسوف انقدك عشرة غروش مكافأة لك.

وكان قد جلس على جذع سنديانة متهرى، وجذب الصغيرة إليه. فوقفت وقد زاولها ارتباخافها واستعادت بعض المدوى.

— هيا ! تكلمي يا دلفين .

— هل يمتنع قولا عن خريبي بعد الآن؟

وترجحـت دموع مسترجمة غطـت حدقـتها الضيقـتين القـاتـتين وكدرـتها بحزـن لا مـثـيل له ... فـاشـفـقـ علىـها تـانـكـونـ وـسـأـلـها بصـوتـ نـاعـمـ :

— هل ذهبـ إلىـ بوـاسـابـوـ؟

رَأْبُولِبُولٌ

ولم يفسح ثولا ب المجالا لها الى الكلام بل قال بنشوفة وحقد :
— لقد ذهبت . وقدتها انا بنفسي الى هناك قبيل انبلاج
الصباح بقليل . وضعتها حيث اتفقنا واخفيتها بين خيازير الغدير
الصغير ، في بات دوا .

واشار تانكون على ثولا بالتراث والصمت وهدوء الاعصاب
والالتقت الى دلفين وتابع :

— ماذا رأيت ؟ لقد خرج من المزرعة اليك كذلك ؟ ولم
يكن وحده بل رفيقه ايضا معه ...

— نعم . اجابت دلفين .

— واقتفيت آثاره بارتياح وحذر دون ان يشعر بك احد ؟

— تأكد اني لحقت به وحسبها او صيتي .

— اين ذهب ؟ وماذا فعل ؟ تذكري جيداً واقري !
اعترفي بكل ما تعلمين واجتنبي الكذب ...

رَابُولِيُّون

واستجمعت دلفين افكارها وراحت تقول :

— انفرد عن رفيقه عندما وصلوا الى بات دوا . رفيقاه
البعها صوت مالقو وسلكا الطريق العريض الذاهب الى القناة ...
يجوز انها رجعا الى القرية ؟ ولم اكتثر لها وفق اوامرها .

هي تتحدث الان بشقة واسترسال ووعي . ثم تابعت :

رابوليتو انخرط بين اشجار الصنوبر بجاذبي غدير
بوشبراند . وصعد بين الفدير والسوقاجير . . . ظننته ، لاول
وهلة ، يتوجه الى الغابة . . . سرت خلفه مثل ظله ؟ عندما بلغ
الغاية تباطأ خطواته وطفق يتفحص الارض امامه كمن
يبحث عن شيء فقده . . . هي مسيرة من ينصب الفخاخ والقناص
الخطير بكل خفايا الارض التي يذرعها طولاً وعرضًا . وتبادل
الشريكان نظرتين خبيثتين مستبشرتين . . .

فولا ونانكون يعرفان الان كيف يتصرفان بجزم وكيف

رَابِّ الْبُوَرْدَ

يسدان الضربة القاصمة . وربت تانكون على كتف دلفين
وهو يقول :

— هنيئاً لك ! انك فتاة ذكية ممتازة . عليك ان تطبيعي
دوماً فذلك اقمن لك ... لا تكتفي ابداً ، بعد الان ، عن مراقبة
رابوليتو . ولن اتركك بدون هبة وزينة ومكافأة ذات قدر .
والآن ماذا تويدين مكافأة لك ؟

فسزرت قولاً وترددت ؛ ولكنها استوئقت بدمانة ولطف
تانكون فأجبت :

— قل له ان يكف عن صفعي ورفسي .

— لا ! لا ! لن يضربك بعد الان ولكن شرط ان تتقيدي
باوامره وتعليه بارشاداته .

وانفرجت سفتا قولاً فظهرت اسنانه المصفرة البشعه والمحنت
رقبه الطويلة نحو تانكون واسر :

رَابُولِيوُّ

— أَخْفِيرُ الَّذِي سَتَحْضُرُهُ مَعَكَ أَحْبَابُكَ تُورْنِيفِيهِ .

— وَلِمَاذَا؟

— هِي خَطْطَةٌ فَتَقْتَ . تُورْنِيفِيهِ وَرَابُولِيوُّ تَرْبِطُ بَيْنَهُمَا صَلَةً
قَرْبَىٰ ، وَالْتَّفَاهُمُ بَيْنَهُمَا مُؤْكَدٌ ...

وَحَامَتْ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ جَدِيدٍ ابْتِسَامَتِهِ الْمَأْلُوفَةُ الصَّاصَمَةُ ...

حَلَّا لَفَّ الْمَسَاءُ الْكَائِنَاتَ بِوَسَاحَةِ الْعَالَمِ خَرَجَ رَابُولِيوُّ مِنْ
الْغَابَةِ؛ مَضَتْ سَاعَتَانِ وَهُوَ مُخْتَبِيٌّ يَتَرَصَّدُ كُلَّ جَرْسٍ وَنَامَةٍ
وَهَرْوَلَةَ النَّهَارِ وَالْأَضْوَاءِ . خَرَوْجَهُ فَاجْأَ سَنْجَابًا يَقْضِمُ ثُرَّةَ زَانٍ
وَهُوَ يَتَغَطَّى بِصَوْفِ ذِيلِهِ الرَّسِيلِ وَقَدْ ضَغَطَ التَّمَرَةَ بَيْنَ قَائِمَيْهِ
الْتَّحِيلَتَيْنِ، فَأَسْرَعَ إِلَى صَنْوَرَةِ وَتَسْلُقِ جَذْعَهَا بِأَزِيزٍ مُخَالَبِهِ الْحَادِ.

وَنَحْسَسَ رَابُولِيوُّ لِفَةَ الْإِسْلَاكِ فِي حِزَامِهِ . الصَّمْتُ جَاثِمٌ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ فِي الغَابَةِ سَوْيَ تَسْحَبَ رَذَادٌ يَتَسَاقِطُ فَوْقَ الْأَوْرَاقِ
الْبَيْسِيَّةِ فَيَحْدُثُ خَشْخَشَةَ نَاعِمَةَ رَتِيبَةٍ . وَمَشَى نَحْوَ التَّخْمِ

رَابِّ الْبَلْوَةِ

يستكشف الجوار محاولاً ابعاد نقط الرذاذ عن عينيه . وشق طريقه في تشابك الخلنج والرتم متوجهاً نحو بوزيدان . المرج ينبعط فوقه سكون وفراغ تغسل ارجاءه نقط الرذاذ المنشعة ...

ولكن سرعان ما عاد رابوليتو يتغلغل في الغابة وراح ينصب الفخاخ . هو يبحث الخطوات ونظراته تسبقه . تنطلق يده الى الاسلاك حول بطنها فتحكم العقد ببطوعية وتضع الشرك . عينه تتفحص الارض ، بسرعة وشمول ، تفك رموزاً وكلمات تفعيمها الدلائل والمعاني ... حوله شعاب تتعرج بطبيعة حيث الارانب تجمثم اثناء الليل ؟ هناك آثار قوائم وحوش مفترسة ؟ وكثيراً ما تألف من رائحة ذباب النبات ، بقايا حيفة ، نثير عظام وبعر وطين ؟ اشياء تستنجد نظراته وعقله وخياله .

ما كان رابوليتو كثير الحذر هذا المساء فهو يتصرف واثقاً من نفسه مستبداً بحواسه وقواه . لن يدور في خلد قولاً وتانكون انه يجرؤ على اقتحام السوق اجير يقتنص ويصطاد على هواه .

رَأْبُولُبُوكُمْ

والبرهان على ذلك انه لم يسمع شيئاً ولم ير شيئاً يستدعي الخدر ويشير الريب . الغابة حوله لا صوت فيها الا صوت وقع نقط المياه على يبس الاوراق والاعشاب ؟ الكائنات تنفس بحرية وطلاقه ... وطفق يستقطب الساحنة ويستنزف معطيات الحظ حتى السؤر . ومدى يده يتناول آخر سلك في حزامه : خيمة خanax حلوة تركها وراءه ، في كل مطرح وعطفة فخ ينتظر طريدة دسمة سمينة .

ورمى نظره على الطريق فإذا هي خالية فاحلة . واخذ يستنشق طعم السعادة وهو يتمتم : « ليلة من ذهب ... نصبت حتى الآن مئة وخمسين خفا ! ... يا للقبح الوزن المغمض الرسيل الربح ! ... »

لم يصل تلذذه فقد قفز خفأة وارتعش حتى الاعماق . امامه على بعد خطوات اربع اتصب رجلان وصوت ينهره مندداً :

قف مكانك ! طالما انتظرنا وقوعك في الشرك ! ...

رَابُولِيُو

وارتى الى الجانب الآخر وحاول الفرار ووجهته ظلام
الاجة ولكن صوتاً آخر اوقفه مكانه وهو يحذر :

— اياك والفرار ! .. عرفناك وانتهى كل شيء ...

هناك حظوظ لا تفتأ تعسة يتزعهمـا النحس والوجع !
واستوى رابوليـو ينتظر اقتراب تانكـون وتورـنيـفـيه .

٣

عنتاً حاول بوريل ان يتهم رابوليتو ويزج به في فئة المجرمين؟ خادته تروشوت والقنص قرب الغدير والهروب لا تشكل جرماً يطاله القانون. حتى بـلازـيه ورسـولـوت لم يـرضـخـاـ لـلوـعيـدـ وـالـتـهـيـدـ . وـتـأـكـدـ لـبـورـيلـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ انـعـنـدـ رـابـوليـوـ اـصـدـقاءـ ثـقاـةـ مـخـلـصـينـ : قـضـىـ رـابـوليـوـ الـاـيـلـةـ فـيـ مـزـرـعـةـ بـوـاسـابـوـ بـجـانـبـهـاـ وـلـمـ يـغـادـرـهـاـ اـبـداـ ؟ـ اـنـهاـ اوـهـامـ وـخـرـافـاتـ تـنـسـجـ لـلـايـقـاعـ بـهـ ...ـ

وكذلك تروشوت فقد راح يكذّب ما حدث . انه لا يعرف ذلك الرجل الذي حضر بيبيعه بضعة ارانب . لو عرفه لاسرع يشي به لدى الشرط فهو مواطن لا يهمه الا الحفاظ على حرمة القانون .

اغتلى الحقد المotor في صدر بوريل فاصفرت وجهاته واقسم

ان يومي رابوليتو في غياب السجن. فراح يستدرج، دون افاده، بواسينو وماليتير وكل العمال واحداً واحداً، فإذا الجميع يصمتون كأن السلسل صفت منهم الشفاه. مؤامرة خائنة محكمة تحاصره أني اتجه. وقد أخذ الزهر والاشهيزاز يسيطران عليه. ما حافر كل ذلك، البحث والروغان واللؤم؟ تورنيفيه اقام الدعوى ضد رابوليتو ولا بد لهذا الاخير من ان يلقى جزاءه ...

اما رابوليتو فقد اختفى في بيته لا يغادره متربقاً الجديداً من الحوادث. امضى اوقياته ساهماً سكوناً دائم التفكير والاضطراب. واحياناً كان يصمت فلا يحيي سؤالات سندرينـ جوـ عاصف مكفهو يحتم على البيت والقلوب والارواح.

تتوحد سندرين فتنهاـ عليه مستفسرة :

ـ لماذا لا تجني يا رابوليتو؟ هل انا باعثة احزانك والجرح النزيـز في حنائك؟ هل تعتبرني عدوة لك تحاول الایقـاع بك؟!ـ

رَأْبُولُوكْ

وازاء صته الرهيب لم تستطع الا الدنو منه وقد جلس على الكرسي لا يتحرك مرتقاً الطاولة بعد ان دمى جبينه على يده ؟ عينة شاردتان لا تستقران تبحثان عن مطارح الضياع والانهيار . آنذاك جاوبها دون ان ينظر اليها :

ـ ليس لدى ما اقوله لك يا سندرين .

تلك هي الحقيقة . ما حدث له يفوق مرامي ادراكه ويتخطى اجواء عقله وقلبه واعصابه . ولكن لا بد للفناص ان يؤخذ بخاتمة . ومع ذلك ... ليس في مقدوره تصور ما حدث له ، وكيف استطاع تورنيفيه وтанكون ان يفاجأه ! والحقيقة انه قد علق في الفخ ! ومن هو الذي وشي به وخانه ؟ فولا ؟ بوريل ؟ صورة هذين الرجلين تلاحقه وتطارده وتتسد في وجهه كل منفذ الى الحرية والهدوء والاطمئنان ... اجل ! وحده دونها نصير ومعين سوف يقف في طريقهما يجدهما ويصاولهما وينتصر عليها منها كلفه ذلك من جهود واتمام وتضحيات .

رَابُولِيُو

وبقي رابولي في بيته يتربّى ما يحيى حدث . وقد صمم ،
حازماً ، الا يدع ذاته يستسلم بسهولة وجباة .

وكان ان حضر بوريل يبحث عنه في عقر داره . وتبادل
الحصان بضعة عبارات امام المسامة من خارج . فرابولي اسرع
يقف خارج البيت حالما لمح الشرط يتوجهون نحوه وتحدث كلاماً
تحدث من قبل تروشوت وبرلازيه ورسولوت : ارانب 'قتلت
وبيعت ؟ صيد حرام ؟ اين حدث ذلك ؟ في ارض من ؟ ومن
فعل كل ذلك ؟ هو قضى ليلته ينام في بواسابو ولا يدرى شيئاً .

كان يقف نداءً لبوريل على حافة الطريق العاشرة . بدا هادئاً
وابط الجأش رغم ما يعتكر في داخله من ارتعاش غامض
وما يدور في اعصابه كلها من لهب واستثار . في داخله منطق
لوشوشات وهمسات تقول : « لا تتحرك يا رابولي ... حافظ
على المدوء ... لا تتحرك يا رابولي ... »

والتمع في داخله سرور خائفي وهو يشاهد بوريل تحرّر

رَابُولِيوُّ

او داجه ثم تتفقع فتنقلب وجنتاه بدون لون يعرف فيوصف :
الشرطى يستعد ليضرب ! حقده لا يتبع له سبيل المدواه فهو
متسلط عليه مستبد به ! والحال انقلب رابوليyo جامداً عنيداً
مثل الرصاص ...

و شاهد بوريل يرفع يده نحو رقبته ويهزّها متوعداً ساخطاً .
وسأله رابوليyo :

— هل انت بحاجة الى بعد الآن ؟

— سوف نرى ، اجاب بوريل .

ثم تابع بعد ان استعاد هدوءه بفؤاء :

— لا شك ان اناساً كانوا في الحفرة ، قرب الاوبية ، في
تلك الليلة ! ولكن كمن على ثقة اننا سوف نلتقي من جديد ! ..
وحان دور رابوليyo فاحمر حقداً وتفور غضباً وسخطاً .
ولكن الصوت في داخله تضخم وراح يردد دونها هوادة :

رَابُولِيوُّ

« لا تتحرك يا رابوليyo ! ابق مكانك ! .. » ورأى بوريل يذهب وهو يتخيّل ما في ذلك الوجه من ابتسام روّاغ ساخر وحقد لاذع زعاف .

حياة رابوليyo لا مطرح فيها لأي استقرار : الداعري التي اطلقها تورنيفيه لا مجال الى محو آثارها ولا سبيل الى نسيانها .

القضية تتعلق به وحده ولا شريك له فيها . منذ ابتداء القنص لم يؤخذ بخأة ؛ ليلة راح ينصب الفخاخ في غابة السو فاخير اعد العدة لكل بخأة واستدرك كل مجالات الخطر . في تلك الليلة بالغ في الحذر والتنبه وحسب الف حساب لكل حركة وخطوة ونأمة . . . حدث شيء لا يد له فيه ولا حول له عليه .

قبع رابوليyo في زوايا بيته يترقب عودة الشرطي التي لا مفر منها . وما تزال الاحزان والهموم تجثم على اجواء البيت فتو تر فيه الاعصاب وتشيع ضربة القدر الفاصحة . لا سندرين ولا الاولاد يحرؤون على التحدث والاستفسار . تأوه سندرين ،

رَابُولِيوٌّ

ربين صحن على الطاولة ، جرس عابر ، كلها تكفي حتى تثيره فيصرخ : « المدؤ ! المدؤ ! اليس لديه ما يكفي من صعوبات وأوجاع حتى تؤثر سندرينا و أولادها استعار الذهب ! .. و راح ينتظر منكفينًا على نفسه ساهماً شروداً .

وبعد بضعة أيام حضر الناطور بوبان يحمل « نص الحكم على رابوليوا ». تلقي الورقة من الناطور واجمال فيها نظراً يتفحص ويسبّ أغوار الكلمات وسرعان ما اعادها وهو يردد : « لا اريد ان اذهب ». وانقضت أيام اخر ورجم بوبان من جديد يسلمه نص « الحكم عليه غيابياً » : عليه ان يدفع مئي فرنك ... و اذا اضيفت اليها المصاريف تضاعف الجزاء . آنذاك شزر الناطور وقال مؤكداً :

— لن ادفع ...

— لا بد لك من التوقيع ... اجاب بوبان ناصحاً .

ولكن رابوليوا هز رأسه بعنف وتتابع :

رَابُولِيوُّ

— حتى التوقيع ارفضه ولا ابابلي بالعواقب.

— ذلك لك . ولكن الرياح ستجري بما لا تشتهي ...

— قلت لك لا ابابلي ... لا ابابلي ...

وحدث ما تنبأ به بوبان . في مساء أحد الأيام توالى على الباب دقات عصبية . فراح رابوليyo يصرخ : « ادخل ! » ظنأ منه انه الناطور يحمل اوراقاً أخرى . ولكن عوض بوبان وقف في الباب بوريل وهو يقول ساخراً .

— هل هنا بيت رابوليyo ؟

— نعم ! وماذا تريد منه ؟

— احضرت له هذه الورقة .

ومد بوريل يده يسلم رابوليyo ما قبضت عليه . فتقدم وتناول الورقة وهرولت نظراته بين سطورها : سجل جنج ... توقيع المحكوم . وبجأة اختلطت السطور وارتجفت الكلمات فيها بمحاول القراءة

رَابِّ الْبَوْلِيُّونَ

والسيطرة على ثورة الاعصاب . وسمع صوت بوريل يردد بمحنة
وتشفي :

- هل حان الوقت حتى نلقى القبض عليك ؟

فارتجف وسرت في احواله الغضة الأنف وصرخ :

-- الى اين ؟

وغرز بوريل نظرات المهزء والاحتقار في وجهه واردف :

- الى اين ! اما قرأت ما كتب في الورقة ! ؟

وتقديم يدل بأصبعه المربع الأصلة الضخم الظفر على الورقة :
وبطع رابوليوا تنقل الأصلة البشعة وجمدت الاسطر جفأة واتضحت
الكلمات : سجل في عدد السجناء في تاريخ ... سجن في تاريخ ...

تراجع رابوليوا خطوتين او ثلاثة وفي اذنيه دوي يضجع
مثل دوي عاصفة هو جاء تنسحب على غابة صنوبر بعيدة . وسمع ،

رَابُولِيوُّمْ

طي "الدوبي" ، داغوريه رئيس الشرط يتحدث ، فاستدار نحوه
يتملى وداعه حمياه وكمن استشعر العزاء قال :

-- ماذا تقول يا داغوريه ؟

-- في استطاعتك الماجوء الى الاستئناف .

-- ما الافادة اذا استأنفت ؟ وكيف افعل ؟

-- تتقدم من المحكمة بطلب خطبي وفق ما دون هنا . . .
ولربما اعيد النظر في الدعوى التي اقيمت ضدك .

واستاه بوريل من تدخل داغوريه وشرر رابوليyo فائلاً :

-- اطنن ان الاستئناف سيطلق سراحك ؟ ام انك تستطيع
ان تواли اكاذيبك وتخرصاتك امام المحكمة ! سوف تجدني ايضاً
هناك ادحض الاعيبك ... وثق اني لن اكون وحدني ضدك ...

فاستحوذ الاشئراز على رابوليyo وراح يرتجف كالمحوم .
وما هي الا ومرة حتى دفع الباب وهو ول هرب وصدى الشائم
تنثر خلف خطواته ...

٣

ما ذهب رابوليتو بعيداً في هروبه . فقد وقف على بعد
مسافة زهيدة من بيته ، في الاوبيت ، عند تواري .

بيت تواري اقل عزلة وتحصناً من بيته ولكنه ايسر دفاعاً
واشد سرية ؛ جوار حديقة تواري حدائق اخرى ثم مروج
تتلامس اطرافها وتتدخل وتنشبك ؛ اجهزة قتلة حتى ان بعض
اسيجارها جيران خلص ، ووعاء سحيق الاعماق لدفن الاسرار
والخلجان .

ثم ان الحديقة تكتنف البيت من جهاته الأربع ، ويدور
حوله سر تغطيه اسيجار الجوز والبندق والجلوز ؛ خيازر تشرب
قاماتها ، هنا وهناك ؛ بين جلالي الخضر والبقول مربمات الحسن
وصفوف الملفوف ؛ ويحيط كل " جل " وهي منمق من الزهور

رَابُولِيوُّ

والرياحين . وفي هذه الايام من او اخر الحريف راحت العرانيس تتأرجح وتتدلى وقد انتشرت بعض وريقاتها على ارض الممر ؛ وبين لحظة واخرى يسمع طين بعض النحل يدخل القفرات ويخرج منها دؤوباً في اداء رسالته في الوجود ...

كان الجلو دافئاً في بيت تواري يبعث الدعـة والهدوء والاطمئنان . واستسلم رابوليـو للحدـر التـاعـم الرـسـيل الـذـي لم تفارقه نـطـقة من مـراـة وـوـخـزـة من وـجـعـ . هو ما يزال على عـتـبة مستقبل غـامـض يتـوعـدـ .

طـيـلة اقـامـته عند تـوارـي تـلـخـصـت حـيـاة رـابـوليـو القـنـاصـ في ثـلـاثـة مـبـادـيـ رـاحـ يـوـسـعـهـا تـحـيـصـاـ وـتوـسـعاـ . فـي الـخـارـجـ بـيـنـ الـأـوـبـيـتـ وـالـقـنـاهـ ، بـيـتـهـ حـيـثـ تـعـيـشـ سـنـدـرـيـنـ وـالـصـفـارـ . ذـلـكـ الـبـيـتـ الـذـي تـرـصـدـ كـلـ حـرـكـةـ فـيـهـ عـيـونـ الشـرـطـ اليـقـظـيـ . اـهـ يـبـتـئـسـ لـحـظـ سـنـدـرـيـنـ وـيـتـصـورـ مـدـىـ حـسـرـتـهـاـ وـلـكـنـهـ سـرـعـاتـ ماـ يـسـتـعـيـدـ دـعـتـهـ لـيـقـيـنـهـ انـ الشـرـطـ لـنـ يـسـتـطـيـعـواـ اـحـاقـ ايـ سـوـءـ بـهـ . يـقـضـيـ نـهـارـهـ فـيـ الـحـدـيـقـةـ الـخـتـفـيـةـ فـيـ كـثـافـةـ الشـوكـ وـالـنبـاتـ

رَابُولِيُوٌّ

والزهر ؛ وهناك ايضاً منفذان يوصل أحدهما الى طريق الاوبية
و الثانية يشرف على مرج تحوّطه سياجات مغلقة تنتهي عند
سنديانة جباررة جوّفت مياه الامطار جذعها فاستحال شبه مغارة
مظلمة تحوم فيها الاسرار .

ولم يلق الاطمئنان حتى غزا ، ايضاً ، قلب تواري . وكانت
في البدء قد ثار وذبح رايبست منه العينان : « لا ! لن يوحـد
الباب في وجه رابوليـو ؛ فهو ليس حـمـواً فـظـاً متـوـحـشـاً . ولكن لو
حدث اي شيء فلن يتـوانـي في نـفـضـ يـديـهـ وـغـسلـهـاـ ... »

كان تواري رجل مبادىء ورزانة وعقل حصيف . لما هدأت
اعصابه راح ينظر الى القضية ب موضوعية وتجربـيدـ وبرودـةـ : غرامـةـ
لم تدفع ؟ خلاصـةـ حـكـمـ ؟ مشكلـةـ لا بـأـسـ بـهـاـ ! وافـظـعـ ماـ سـيـحدـثـ
ان يـلـقـيـ الشـرـطـ القـبـضـ عـلـىـ رـابـوليـوـ . حـيـنـذـ يـقـضـيـ شـهـراـ فيـ
سـجـنـ سـنـسـارـ ، يـأـكـلـ وـيـشـرـبـ دـونـاـ مـقـاـبـلـ ، وـيـحـوـكـ الجـوارـبـ
المـطـرـزةـ الحـواـشـيـ ثـمـ يـعـودـ مـتـورـدـ الـوجـنـتـينـ وـفـيـ جـيـبـهـ قـنـوةـ
وزـيـنةـ . وـسيـتـدـبـرـ اللهـ اـمـرـ سـنـدـرـيـنـ وـالـاـولـادـ طـيـلةـ تلكـ الفـتـرةـ ؟ـ

رَابُولِيوُّمْ

شهر في السجن لن يكون سبب موت عيلة ورجل . واذا حتم الواجب فهناك ملفوف في الحديقة ... ومن يدرى ؟ من يقسو قلبه حتى لا يهب وينفع ! .. سندرين ابنته ، فلم يوزق هو ونورين سواها ...

بعد بضعة ايام اصبح تواري يستشعر سروراً جماً من وجود رابوليتو الى جانبه . هو يعطف على هذا الرفيق الجديد وعلى هذا الصياد المتفهم الذي يصغي اليه بطوعية من الصباح حتى هبوط المساء . ولاقى رابوليتو الانشراح عند جمهوه ؛ وراح يشاهد بفجأة ذلك الوفر من الطيور والعصافير المصبرة ؛ بعضها جمد في ملء زففه كمن مسنته عجا ساحر . هي تنتشر في كل مكان . حالما يلتجز الزائر بباب الغرفة تستقبله عيون من زجاج تشع وتلمع وتنظر اليه اني سار واتجه . زد على ذلك ما عبق به الجو من روانع الصُّفْع والغبار والمسك واللحم تسد منافذ الانفاس .

وخفأة شرع تواري يتحدث بصوت مرتفع فيما رابوليتو يتبعه وهو يحيل نظرات فاحصة في الغرفة كلها . واحياناً يبتسم بمحسرا

رَابُولِيوُّ

وألم وتواري يتحدث ويتحدث . هو يفكـر بـسـنـدـرـين ، بالصـفـارـ .
وسـرـعـانـ ما درـى حـافـزـ بـسـاطـةـ زـوـجـهـ وـسـذاـجـتهاـ في تـصـدـيقـ كلـ
شـيـءـ . اليـسـ توـارـيـ والـدـهاـ؟.. رـبـاهـ ! ماـذـاـ تـفـعـلـ سـنـدـرـينـ ؟ـ
وـكـيـفـ تـتـدـبـرـ اـمـرـ الصـفـارـ بـيـنـاـ هوـ يـقـضـيـ اـيـامـ عـالـةـ عـلـىـ سـواـهـ ؟ـ

ولاحظ تواري سهوم رابوليـوـ فـشـدـهـ منـ كـتـفـهـ وـصـرـخـ
منـدـدـاـ :

-- ايـهـ ! بـعـاـذاـ تـفـكـرـ ؟ـ هـلـ قـفـكـرـ بـالـسـجـنـ ؟ـ كـنـ مـثـلـيـ ولاـ توـليـ
اهـتـامـكـ شـيـئـاـ فيـ الدـنـيـاـ . وـاخـذـ يـنـادـيـ :

— ياـ نـورـينـ !ـ اـحـضـرـيـ قـيـنـةـ الـخـرـ

وـتـنـاوـلـ رـابـوليـوـ كـأـسـ الـخـرـ يـعـبـ "ـمـنـهـ مـلـ"ـ قـلـبـهـ وـرـوـحـهـ .
وـلـمـ يـلـبـثـ حـتـىـ اـحـزـانـهـ وـاـوجـاعـهـ وـهـمـوـهـ . وـكـانـتـ عـقـارـبـ
الـسـاعـةـ ؛ـ عـلـىـ الـحـائـطـ ،ـ تـسـيرـ إـلـىـ تـمـامـ السـابـعـةـ . وـاـذـ ذـاكـ فـقـطـ
سـكـتـ توـارـيـ وـتـمـ وـهـ يـخـتـيـ :

رَابِّ الْبَلْقَاءِ

— الى غدِّ يا رابوليyo .

واضحى رابوليyo حراً طليقاً حتى حاول الساعة السادسة في صباح الغد . انه لا يخاف بوريل ولا اي انسان سواه بعد الآن ... وغادر البيت الى الحديقة وترصد الطريق لحظات ثم اخذ يبحث الخطى في اتجاه بيته حيث سندرين والصغرى ...

٤

بعد وقت زهيد نزد استعاد رابوليتو ثقته الكاملة بقواه .
واحس دم الشجاعة والاقدام يجري بغزارة في شرائينه . لم
يكتنه ، في البدء ، مدى اتجامه عن الاقتحام وتلك البليبة التي
هوى في اعماقها . فقد كان لأول مرة في حياته يغلب على امره
ويتدوق مرارة النكسة والخiran . وزاده المأوى فرقاً مالمس
عند قولا من مكر وتدبّب ولدى تروشوت من تخاذل وجبن
وفي عيني بوريل من تشفٍّ وخبث ودناءة .

ما اشدَّ غباء الانسان احياناً ! ولكن التجربة اقمن سبيلاً
للعلم فالمعروفة ، والخبرة انجحُّ وسيلة للتمحيص فالتصميم .
واستساغ رابوليتو طعم الدعة تعود اليه رويداً رويداً . انه الان
مخلوق جديد ينبع جرأة وعنفواناً . وما لبث ان التقى بـ لازيه

رابوليتو

وسرسولوت وتهامس ثلاثة وتحديثاً؛ ومنذ تلك اللحظة أصبح رابوليتو يدرك قام الادراك مدى امكانياته وعزائمه.

ولكن لا بد من متابعة الحذر والتنبه؛ هو حر الآن ان يزيل من طريقه كل خذلان وارتعاش وان يبقى على الفرح يعمر فؤاده وحياته.

بعد اليوم لا حق لبوريل ان يلقي القبض عليه في عقر داره، اذ بيته انقلب حرملاً لا يُمس ولا ينتهك. وعند هبوط الظلام تتحول الطرقات كلها مسرحاً حراً طليقاً لروحاته وغدواته؛ اذا عنّ له ان يوم الكنيسة يحضر القدس فذلك له؛ اعتناد حضور القدس منذ نعومة اظفاره وهو بيته خيراً واعتزازاً ان يشاهده الناس ويتأملوه في الكنيسة. ثم ان دراجته في الخارج لا تفارقه ابداً رغم ثقته بقوة قدميه وطوابعه ساقيه ساعة الفرار والهرب.

وكان يعلم ايضاً ان ابناء القرية يؤازرونه في ثورته ضد

رَابِولِيوُّ

القانون وتصديه لأوامر السلطات ؟ فالبيوت كلها تفتح امام وجهه على مصراعيها اذا ما دعت الحاجة وأحاق خطر اكيد . وهناك أكواخ المزارع المنتشرة في الضواحي يتمنى اصحابها وعمالها ونواطيرها توفير الملاجأ الحصين له .

في صباح احد الايام توالت الدفقات على الباب الخارجي ورابوليyo ما زال مستلقياً على السرير يداعب سيلفي بجنان وسوق وحب . فأواماً الى سندرين حتى تهرون فتفتح لذلك الطارق العصبي المنتاب ...

سحبت سندرين الزلاج وحالما انتفتح الباب تقهقرت مسافة خطوتين مرتجلة ممتدة الوجه موزعة الاشكال . رباه ! هذا بوريل ! .. وشك رابوليyo في صدق زوجه بادى الامر .

كان قد قفز من السرير وتقدم على مهل ووقف خلف درفة الباب . وأطل رأس الشرطي والابتسامة المألوفة لا تفارقه وراح يقول بلطف مصطنع :

رَابِولِيوُّ

-- كنت امر من هنا صدقة ... هدئي روحك ولا تقلقي ...
ابغي التحدث اليك ولا هدف لي الا التفاهم والسلام .

قال ذلك وهو يبث نظراته في كل مطرح ، وسعى الى
الدخول .

— ماذا تريده ؟

لقد كان المتهور رابوليتو نفسه الذي جبهه فجأة وقد غرز
عينيه في تضاعيف ذلك الوجه الحناني .

— اظن اني في بيتي !

انذاك حاول بوريل من جديد ان يلتج مفسحاً له مجالاً بين
رابوليتو وسندرين ولكن هذا الاخير صدّه وقال بصوت
جدّ هادئ :

— اياك ان تتقدم خطوة واحدة ! انا امنع عنك الدخول .

قال ذلك بجلال واقتئاع لا يفسحان اي مجال للهزء

رَابِّ الْبَلْوَى

والابتسام . ثم انه لا يغلق الباب بعد الآن فقد استحال سيد ذاته ولن يترك القصب يستبدل به . وتابع بروزانة وهدوء :

— في التقا، آخر يا بوريل ؟ ولا تخدع عليّ ..!

الحقيقة ان الطيش لم يفارقه عاماً . فالماء عندما لا يتتجاوز الثلاثين من العمر ورغم معاكسات الحياة والاعتراضات التي يخوضها ، لا يزال يشعر ، في بعض الايام ، بتدقق حيوية الشباب وانتفاضات العزم والفرح والتيه مثل بلهوان حذق ماهر . على كل حال لا بلهوانية بعد الآن بل رزانة رغم صعوبة اطفاء لمعان الفرح في العيون . . . ذلك المعنات الذي أرجف بوريل غضباً وسخطاً فشرع يضغط على اسنانه بصمت ووجوم وانفعال . وما فتى حتى ذهب ورابوليتو يتأمل عضلات ظهره الكثيرة التي تتكون خلف قميصه الحشني . والتفت الى سندرين وقال :

— أرأيت يا عزيزتي سندرين ؟ لقد تراجع وذهب ...

لا يجوز لها بعد الآن ان تداوم على البكاء والارتعاش

رَابُولِيوُّ

والشكوى ، بل واجبها ان تصدي لجرأة وقوه وغبطة زوجها .

وابع :

— لا شك ان احتراسي وحذري سيقطعان عليهم كل طريق
للوصول اليه .

وبقيت سندرين شاحنة مرتجلة لا يفارقها الا صرار الفضوب
الذى لمته في عيني بوريل وما يغلي في داخله من لوم وحد
وخبث . وتأوهت :

— السأم يحتاجني يا رابوليyo ! . هل ستنعم طويلا بحريرتك ؟
لا بد ان يحين ذلك اليوم الذي فيه تصفد يداك وتساق الى
السجن ! .. وانا ! والصغار ! هل تدرى المصير الذى ينتظرننا ؟ ...

— هدى روعلك ! حريرتي ملك يدي . وثيق اني لست وحدى .
اصدقائي كثئر ينتشرون بين السولدر والبوفرون .

— وهل غاب عنك ان الدين يتزصدونك كثيرون ايضاً ؟
نعم ! هم اكثراها تتصور ...

وهكذا بقيت سندرين تتنازعها الريبة ويتسلط على حياتها التشاوم . اذا سكتت يُقل سكوتها على صدر رابوليتو ويضغطه بعنف وقسوة ، فيسعى الى الترثة عله يهرب من جو سكوت الزوج المطبق الرهيب . ثم انها ما كانت سبأقة الى الحديث ابداً فهي تحب بايجاز ولطف ودعة . . . وبدأ التألف والاشتئاز يغزو ان صدره امام جمودها الذي لا موجب له . . . وجلسا بوجوم رغم تباعد ما بين تفكيرها واهدافها . . .

ادمون وليونارد لا يزالان حتى الان في المدرسة . الصغيرة سيلفي تنام في سريرها . هم ضعفاء حتى يطلب منهـم الازر والمساعدة . وجأة تخيل سيلفي تبسم وتضحك ؟ وتخيلها في هرولة شفتيها النحيلتين نحو الثدي . . . فاحتلت كيانه اندماك اشباح عراض من الحزن والحسنة والوجع . . .

ليس امامه الا الهرب والابتعاد عن البيت . في الخارج يستطيع ان يبحث عن مصادر الفرح وعن كل ما يوسع في صدره لهب الاقدام والشجاعة . وأسف للأمور تشي هكذا ؟ بيته هو

رَابُولِيُونٌ

المكان الوحيد الباعث الازعاج ، الحافل بالضيق ؛ حتى الهواء
الذى يتنفسه احب المخلوقات على قلبه تضيق به انفاسه . حالة
صعبه لا تحتمل ولا تدرك مراميها ولكنها الحقيقة تجهر
ولا ترد ...

هيا ! يا برازيليه ! دورك الآن يا سرسولوت !

خلق لا يحصى يحتشد في فندق تروشوت ، يضحكون
ويصخبون ويلعبون بالورق . . . ماذا لو شاركهم رابولييو ؟
فهكذا يراه الناس وتدھشهم برودة اعصابه وجرأته .

قاعة الفندق تعج بالناس من كل لون وجنس . وفي الخارج
تهل "امطار متقطعة" ؛ بخار الانفاس المتكافئ على زجاج النوافذ
منع كل رؤية خارج القاعة .

واشرأبت الاعناق وسمع صراخ دهشة يقول :
ـ ايه ! بواسينو ! ملاطير !

حضرها ايضاً من مالقو وبوزيدان . وتوجهنا ناً ، الى

رَابُولِيوُّ

الطاولة فيها نقط المطر تترحلق من ثيابهم الصوفية الفضفاضة .
وَ حَمَّا وَ قَع نظرها على رابوليوا أشدها وَ حرخا :

هذا انت ؟ هذا انت ؟

— نعم ... والعب بالورق كَا تريان .

وشرع يومي الورق على الطاولة بمحاس واعتراض . تدق قبضته
الخشب فتهاز كؤوس النبيذ الاحمر فيتولاح ارتعاش خفيف
يركض على صفة جسده كاه . وبعد لحظات قال :

— اخبرا فولا اني كنت هنا ... وان الرياح تجري كاشتهي .

وبعد هنئية صمت تابع :

— كيف حال مالكورتوا ؟

انذاك انحني بواسينو ومالماتير : الفندق حافل بخلق كثير .
وهمس بواسينو :

رَابِّ الْبَعْدَ

— حدثت اشياء جديدة ...

فقطاعه مالاتير واردف :

— هي قصة التدرج الالية ...

فانتفض رابوليتو وترك الملعب وقال ملحاً :

— ماذا؟ تابعا الحديث ... لا تخافوا . هؤلاء كلهم أصدقاء

محظون . وضرب على الطاولة ونادى :

— ايه ابيك ساليه ! هات ليترا آخر من النبيذ الفاخر

ولا تنس الكأسين ! اما انتا فاجلسها هنا الى جانبي .

وبعد ان اطمأن بواسينو ومالاتير قالا :

— غزونا بضعة اقفال في بواسابو وغنمنا عدداً لا يأس به

من التدرج واثنتي عشرة دجاجة سمينة . وبرهاناً على ذلك هيا
فاسأل تروشوت .

رَابُولِيوُمْ

وحادق الرجل البدين على كل ما رواه بواسينو وما لاتير .
ثم ان رابوليyo قد نسي الماضي وصفع عن تروشوت مقدّراً
حراجة المأزق الذي كان قد تورط فيه ... وزاد مالاتير :

-- ولكن لا تنس ان فعلتــا بعثــتــ اســtieــ وــ ســخــطاــ في
بوــاســبوــ كــلــهاــ . وــ حــالــماــ درــيــ الكــونــتــ بالــذــيــ حدــثــ اــســتــنــجــدــ بــ فــرقــةــ
من شــرــطــ ســانــتــ -- هــوبــيرــ ... واــظــنــ انــهــ قدــ وــصــلــواــ اــمــ .

تلــازــتــ الــهــمــســاتــ وــ تــداــنــتــ الــوجــوــ ؟ــ هــمــ الــآنــ بــضــعــةــ منــ
الــرــجــالــ حــولــ الطــاــوــلــةــ حــيــثــ يــجــلــســ رــابــولــيــوــ .ــ وــلــمــ يــنــســواــ مــراــقــبــةــ
سوــاهــمــ مــنــ الــحــضــورــ .ــ وــاحــيــاــنــاــ كــثــيــرــةــ يــتــســارــوــنــ بــمــحــذــرــ وــخــفــوتــ .ــ
فيــقــوــلــ اــحــدــهــ :

-- انــظــرــوــاــ ذــلــكــ الشــيــخــ هــنــاكــ !ــ عــنــ شــمــالــ بــاــبــ الــفــنــدــقــ ...

-- منــ ؟ــ الشــيــخــ المــحــدــوــدــ ؟ــ

-- نــعــمــ .ــ أــلــاــ تــظــنــ اــنــهــ قدــ اــخــفــ وــجــهــ خــلــفــ لــحــيــةــ مــســتــعــارــةــ ؟ــ

رَابُولِيُونْ

اوه ! لا . لا . انا اعرفه جيداً فهو من سكان ترمباوفييف ،
واسمها مولان .

— ولكن من هو ذاك الذي دخل الآن ؟ راقبوه بانتبااه .

— اظنه بوتونيه احد مزارعي شانتوفان .

ربما عرفه بعضهم حالاً وهو ما يزال بعيداً عنهم وقد اختفت
بعض معالله في سحب كثيفة من دخان اللافاف وبحصار المطر
المتصاعد من الثياب الرطبة كلها ...

«شرط سانت — هو بير حضروا امس ...». لا تزال هذه
الكلمات تطن في رأس رابوليتو وتصدى مثل دويّ اجرام
تقرع . «شرط سانت — هو بير» ... ومن هم هؤلاء ؟ لا احد
يعرفهم . لا لباس يميزهم فهم يلبسون ثياب الفلاحين والخطابين
والعمال . لماذا حضروا ؟ وكم ستطول اقامتهم هنا ؟ اسئلة
لا جواب عنها بل هي اشبه بحلك ليل عاصف مطير . اين
سيسكنون او يختبئون ؟ افي مزرعة ام في جحر ثعلب او اجهة ؟

رَأْبُولِيوُمْ

من سيراهم ويكتشف اسرارهم؟ «شرط سانت - هوبيه ...»
واحسن رابوليتو ان شجاعته تختبو ونظراته تزيغ وقشعريرة البرد
اسري في اوصاله . وبلغ كأس الماء جرعة واحدة وأخذ يصرخ
بصوت عالي جداً :

شرط سانت - هوبيه ! لست اعبداً بهم ... لا اهن
او جودهم ... هم يسعون في اثري بغية القبض علي ... لست
اعيدهم اي انتباه ...

وامتناع بواسينو ان يقول :

هناك من يقول انك تعرف الذي سرق التدرج .

--- من قال ذلك ؟ ---

--- فولا .

--- وهل حدّقه احد؟ أنا ! أنا ! لا . لا . اقسم امامكم
بشرفي اني بريء ولست اعلم شيئاً عن سرقة تدرج الكونت ...

را بول يو

وراح الرجال يتأملونه بوجوم ودهشة . ثم قال له واحد منهم :

— لا تخفي عنك يا رابوليyo اننا التقينا بوريل في بواسابو وهو جاد في البحث عنك وتعقب آثارك . عليك ان تضاعف الحذر والانتباه .

وضغط رابوليyo بكلتا يديه على طرف الطاولة واستوى بهمّقاً جامداً شارداً . وادرك اخيراً ان كل تصرفاته لا بد ان تنقلب وبالا عليه . وشعر بجسده ينوء تحت ثقل باهظ من حظه التعس المسؤول . ثم شاهده رفقاء عد رقبته نحو اليمين والشمال مثل حيوان يحاول التقدم . وحينذاك انفجر الغضب من سفتية شبه موج عرم يلطم جوانب سد محطم . وزعق حقداً وكيداً :

آه ! الافق ! آه ! النتن ! سأعلمك كيف تكون مواجهة الرجال ... ما اشد دناءتك يا بوريل ... هيا إلى اللقاء ! ... السجون والمحاكم مطارح الشرف والأمنة ... كلام أحتقرهم

رَابِيْلِيُو

احْقَادُ ... سأذهب اليهم أغار كهم والويل لمن يتصدّى ويقف
في المربيّ ! ... دعوني أخرج ! ... دعوني أذهب ...

حاولوا صدّه عما أراد دوناً جدوّي بل هناك من فسح له
ال المجال خشية ركّلة أو صدمة . والتفوا حوله يتفرّجون ويتأمّلون .
ولكن تروّشوت تقدّم منه وهو يصرخ :

— أَسْكُتْ يَا رَابِيلِيُو ! هُلْ جَنَّتْ وَفَقِدْتَ الصَّوَابْ ؟ أَنَا
اسْتَحْلَفُكَ بِالصَّدَافَةِ أَنْ تَصْمِّتْ .

وأخذ بواسيثه وما لا تير يحاولان أن يجعلاه على المكتوفي
من جديد وها يرددان :

— حافظ على هدوئك ! ان ما تفعله الجنون بعينه !

أجل ، هي الحقيقة المحرّدة . لقد فقد رابيليو كل سيطرة على
أعضائه . ولكنه أدرك أخيراً أن لافائدة من الصراع والزعيم
في الفندق المغلق بل ذلك دليل الخوف والضعف في أكثر

رَابِّ الْبَلْوَةِ

الاحيان . ثم ماذا سيكون رأي الحاضرين في كل الذي حدث ؟ وأسرع يلملم ما انتشر من قـواه شاعراً بالمسكنة والاشئزاز محاولاً ان يخرس رنين الاصوات المتصادمة الناشرة في أذنيه .

وقال :

— معها تقلبت الظروف ليس لنا الا القانون والعدالة .

— ذلك حقّ . قال بواسينو .

وتناولوا الورق من جديد وبدأوا اللعب . ولم يكن رابوليو يغير اللعب كل اهتمامه . وأحياناً يتهدّث بصوت أراده هادئاً فإذا ارتجافه ظاهر واضح . وخاتمة قال :

لا تظنوا أني اخافهم . هم يقتلون آثاري منذ خمسة عشر يوماً . أول أمس خضت سوكة بوريل ... وتحدّث الحي كله عن ذلك . ترصدي ساعات وساعات في جوار البيت ... لاح لي وأنا أعود من بيت حموي عند الساعة السابعة مساءً وسيكارتي بين شفي : سـمـ راحتـها ... ماـذا فـعلـ الجـبانـ ؟ سـعـى يـطـلـعـ السـيدـ

رَابِّ الْبُوْلَهُ

برجرون المختار حتى يحضر ويفتش البيت في الصباح الباكر . وأمضى الليل كله هو وداعوريه وبوسو يراقبون بيتي ... وفي الغد باكراً حضر المختار وكانت لا أزال في السرير ... دق الباب . نهضت سندرين مرتدية قميص النوم وسألت :

— من الطارق ؟

أنا برجروت المختار . هيا افتحي يا سندرين ولا تقلقي . واعلمي أني حضرت بصفتي الرسمية كمختار بما يعني الحق بالدخول حالاً .

وتخيلت جائة بوريل ... القانون ... تقتيس ... أمن عام ...

وبسرعة فائقة قفزت من السرير . وتراجعت سندرين ترتجف مثل ورقة شجرة تساقط . فاقتربت منها وهمت :

— «أرجوك ! ساعدني على استغلال دقيقة واحدة لا غير . قولي انك ستفتحين بعد أن ترتدي ثيابك ». وقالت سندرين ما

أردت منها ان تقول ... ثم حملت الصغار الثلاثة ووضعتهم فوق السرير وقلت : « انتبهي يا سندرين ! بعد ان تفتحي الباب عودي الى السرير حيث الاولاد وتظاهرى أنك كنت نائمة فيه » .

تقدّدت تحت السرير، وذهبت سندرين تفتح. ودخل السيد برجون والشرط وراءه . وبدأوا البحث عن حالاً ؟ فتحوا الخزانة والصندوق ولكنهم عندما وصلوا الى السرير حيث يغفو الصغار الثلاثة تأملوهم لحظة وأداروا ظهورهم ... كانت تحت السرير والحرارة تدور في دمي . وخارجي خوف من ان تخون سندرين امارات او نظرات او كلمات ... ولكنها حافظت على رباطة جأشها وقادتهم الى القبو وإلى سواه من المطارح . وسمعت بوريل يردد : « كلي ثقة انه يختبئ هنا في البيت ولم يخرج ... » ويجاويه برجون : « تخل عن سذاجتك يا بوريل . انه ليس هنا . فقد لا يعدم وسيلة الى الهرب والفرار . »

وبقيت أختني تحت السرير زهاء نصف ساعة واحياناً

رَابُولُوكُمْ

استنفدت الأنفاس وتضاعفت ولكنني كنت مسروراً ... وحيذا
لو سمعت الضحك والقهقات التي أطلقتها أنا وسندرلين عندما ذهب
الشرط والختار ...

وانشى رابولي وفاش فيها رفاقه يضحكون حواليه حتى
الدموع . وزاده افتخاراً وتشوّفاً ما لمه في النظرات المصوّبة
إليه من تعجب وذهول وإكبار . ونسى أنه أصبح أسيراً للعجب
الصياني والتّيه ولا سبيل أمامه بعد الآن إلى التراجع أو النّظر
إلى الوراء عقب ما تورّط فيه ...

كان يحتال في أزقة القرية حالما يتقدّم الظلام فوق الكائنات .
ويتبجح في وجه كلّ إنسان يراه قائلاً : « لا بدّ أن أعيد لبوريل
ما فقده من لياقة وأدب ». وعندما يقترب من المخفر يتوقف
هنيهة ثم يروح ويجيء متربقاً عودة الشرط من جولاتهم النهارية .
ومتى وصلوا يسرع فينزع قبعته عن رأسه بأدب مقطوع ويحييهم
وهو يحرص أشدّ الحرص أن يقف ، وقتكاك ، في ضوء أحد
الحوانيت . ثم يقول بسخرية :

رَابِلُ بُوقٌ

.... هيا يا ستيلا . سلمي كـ عامتك .

كان قد اجتهد كثيراً في تربية وتعليم الكلبة الصغيرة السوداء حتى أصبحت لا ترى شرطياً إلا وحيته برفع إحدى قوائهما . وما أكثر ما تبعه الفضوليون يتفرّجون على ستيلا وينسمون لمهاراتها وذكائها .

وأحياناً يشاهد الناس على الطرقات يدفع دراجته أمامه وستيلا تبعه دوماً مثل ظله . وإذا لمح «قبعة زرقاء» اعتلى الدرجة وعدّت ستيلا وراءه . لا شك أن ذلك الحيوان الصغير عاقل مثل إنسان .

وقادت رابوليـو قدمـاه نحو السـوقـاجـير ثمـ إلـى غـابـةـ بـوشـبرـانـدـ حيثـ تـفـقـدـ بـشـوقـ وـخـنـينـ منـاطـقـ الصـيدـ كـلـهاـ ، مدـفـوعـاـ بـمـيلـ لاـ يـقـهـرـ وـتـلـقـائـيـةـ لـاـ تـرـدـ . ولـكـنهـ مـاـ فـتـيـ يـتـحـوـفـ التـقاـءـ قـولاـ الـذـي يـلـجـأـ أـحـيـاـنـاـ إـلـىـ الاـخـتـفـاءـ بـيـنـ الاـشـواـكـ . وـكـمـ مـرـةـ وـقـفـ يـتأـمـلـ الكـوخـ الـقـدـيمـ وـشـجـرـةـ الـكـرـزـ الـتـيـ تـنـاـيـلـ أـمـالـيـدـهـاـ فـيـ اـرـتـفـاعـ لـاـ

رَابُولِيُو

باس به ! وكم مره أيضاً سوت له النفس أن ينادي : « ايه !
مالكورتوا !انا هنا . هيا نتحدث نحن الاثنين بدون رقيب
او شريك ! »

ولكن هل من نهاية لـ كل تلك الغباوات ؟ كل يوم تقوده
قدماه الى السوّاقاجير . وفي أحد الايام لمح تازى على ضفة العدیر ،
وراح يلوّح لها بيده فعرفته جيداً وشاهـدت سـتـيلا تسـير الى
جانبه . وتعـيز رـابـوليـو بوضـوح أـسـنـانـهاـ البيـضاـ، تنـفـرـجـ عنـ ضـحـكةـ
حبـ وأـلـفـةـ : كلـ وـاحـدـ يـعـلـمـ انـ النـسـاءـ إـحـسـاسـهـنـ غـرـيبـ إـزـاءـ
شـجـاعـةـ الرـجـالـ ! ... وـفـلـورـاـ ؟ ماـذـاـ اـصـبـحـتـ وـكـيفـ هـيـ ؟
ياـ لـسـحـرـ عـيـنـيـهاـ ، تـلـكـ الـعـفـرـيـتـةـ ! هـمـاـ تـفـوقـانـ عـيـنـيـ تـازـيـ حـيـوـيـةـ
وـاجـذـابـاـ ، وـأـسـنـانـهاـ أـشـدـ بـيـاضـاـ وـشـعـرـهاـ أـكـثـرـ اـسـوـدـادـاـ وـلـمـعـانـاـ .
هـلـ لـدـىـ سـنـدـرـينـ ذـلـكـ الـجـاذـبـ الـمـكـبـلـ وـالـجـسـدـ الـحـارـ الـذـيـ
يمـحرـقـكـ لوـ دـنـوـتـ مـنـهـ ؟ ...

وـتـكـرـرتـ جـوـلـاتـ رـابـوليـوـ يـومـيـاـ دونـ انـ يـعـرـفـ الشـيـءـ
الـذـيـ يـبـحـثـ عـنـهـ . فـقـدـ يـكـفـيـهـ أـنـ يـظـهـرـ جـرأـتـهـ وـيـدـوـمـ حـولـ

رَابُولِيوُّ

خطر غامض . ورويداً رويداً ضاق نطاق تحواله كأنه فراشة
تحوم حول سراح ...

وأخيراً ، في مساء أحدى الليالي ، فيما كان يقوم بجولته المعتادة في غابة السوقاجير التقاه تورنيفيه عند منعطف شعب . كانت بندقيته فوق كتفه وفي يده كيس يتمامل تدرج في داخله . جد رابوليوا للنجاة وجمع جسمه يستعد للهرب وكذاك ستيلا فقد تنبهت حواسها وانتصبت أذناها . ولكن تورنيفيه أسرع فطمأنه وأشار عليه أن يقترب . وكان الحفير بادي الهمّ والزعج خياء رابوليوا :

.... مساء الخير يا فرمان .

فأجال تورنيفيه نظراته القلقة الفاحصة في كل جهة ،
وقال متذرأً :

— أهرب يا رابوليوا دونما تسويف وتردد . كنت أريد

رَابُولِيوُرْ

إبلاغك ذلك من قبل حتى لا يفوت الاوان ... غادر هذه المنطقة
ولا تنس أن بلاد الله واسعة ... ابتعد عنها استطعت ...

تكلم الحفيير بانفعال بادٍ وتقطّع أنفاس وصوت لاهٍ
متلتفتاً في كل جهة خشية بقاءه فاصلة . أما رابوليوا فقد راح
يضحك كعادته بسخرية وشوخ واعتداد ...

وتابع تورنيفيه يشدد على كل كلمة :

انتبه ! يا رابوليوا . وإياك ان تستهين بالأمور ! ... انهم
يبحثون عنك ويقتلون آثارك دون ملل او تراجع !

- قلت لك اني لا أعبأ بهم بل احترفهم . وأنا اعرف أسماءهم
واحداً واحداً : مالكورتوا ، بورييل ، تانكون ... وشرط
سانت-هوبير ، أود ان أتأمل وجوههم عن كثب ...

وتضاعفت دهشة تورنيفيه أمام عناده واستهتاره بالخطر
الماثق المهدد . وآنذاك تقدم إليه وأمسك به وهزه وصرخ :

رَابِّ الْبَوْبَأْ

— اسمع ! عليك ان تهرب بأسرع ما يسعك ! كفاك ثرثرة
واعتداداً ! ثم تابع بصوت ناعم يفيض شفقةً واسترحاماً : « الهوا
هنا قذر يسد منافذ الأنفاس . انت لا تعرف أسماء كل الذين
يتربصون بك حتى يوقعوك في أوحى العواقب ... الاشجار لها
أعين والغابات لها آذان ! بربك ! يا رابوليوا اذهب من هنا ، وحافظ
على رأسك ! لو كنت مكانك لما رفعته هكذا بت shamخ وخيلاً !»

وأدأر تورنيفيه ظهره ولم يلبث حتى أخذ يعدو . فتعجب
رابوليوا وضحك : فقد كان تورنيفيه هو الذي يهرب ! ولم يططل
ضاحكه لأنه وحيد لا يراه أحد . ولكنه سرعان ما افتقد قلبه
وقواه وسرى فيه حزت وألم ورأى ذاته عاريأً حقيراً ذليلاً .
ونادي :

— ستيليا ! ستيليا !

وانحنى نحو الكلبة الصغيرة وبحركة لطيفة ناعمة أخذ رأسها
بين راحتيه وغرّ زعنينه في قصر البؤبؤ الاشقر كمن يسأله
النصح والعون ...

رَابِّ الْمُؤْمِنِينَ

ما زاد فرمان ان يقول لي ؟

لا شك ان تورنيفيه لا يخاف مثل امرأة فهو رجل شجاع
عديد الرأي فطن حكيم . الهم الذي كان يشقّل عليه رماه في
حيرة مضطّلة . وبدون ان يدرى قادرٌ قدماه الطريق واتجهت
عو طريق الاوبية ؟ دراجته تنتظره هناك وقد خبأها
في عليةقة .

وراح يسرع في السير كأن عيوناً لا تحصى تلاحقه من كل جهة ،
بين الاشجار . واجتهد ان يخرج من الأجمة فقد أزعجه
وأخذاه حفيظ الاوراق واصطدام الاغصان وصفير الهواء يجلد
الأماليد المتشابكة .

ولم يطل به المسير حتى انفرجت المسافات بين الاشجار
وظهرت السماء . وكان الليل هادئاً يكتنفه سكون رهيب وصمت
حزين يشيع الارتعاش والخذر . وحالما وصل الى العليةقة أخرج
الدراجة . ولما هم ان يصعد اليها فاجأه صوت يصرخ :

رَابُولِيُّو

- قف مكانك ! إياك ان تتحرّك !

صوت قوي لسع بقسوة كل مسام وجهه ، وحالا رأى
بوريل يجده . لقد كان بوريل وحده . وبأسرع من البرق حمل
رابوليyo الدراجة وصدمه بدولابها الخلفي فأوقعه على الأرض .
ثم اعتلاها وهرب ...

ومضت دقائق حتى استعاد رابوليyo كامل وعيه . وأول ما
فطن اليه انه يسير وحده بدون سبليلا . أين هي إذن ؟ ...
وسرعان ما تذكر أنه سمع ، في هربه ، صوتاً يشبه دويّ
رصاص ... والتفت وراءه فاستطاع ان يشاهد بوريل وقد وقف
يتأمل كومة سوداء تحرّك ... والدخان لا يزال يتتصاعد من
فوهة مسدسه ...

٥

ان يستطيع رابوليو ان يصرف أيامه كلها في الطوافات والبطالة . ففي البيت زوج وصغار ثلاثة ينتظرون رغيف الخبر وزعيم الادام ؟ فلزام عليه اذن أن يجاهد ويعمل رغم الاعداء الكثيرين الذين يتربدونه . فالعش بأمس الحاجة الى ما يغذي فرحاً زبغ الحواصل .

في مقدوره ان يعمل وحده وبذلك يتحاشى كل الناس الذين يكرههم ولا يأمنون جانبهم ؟ ولا حرج عليه اذا كان يلاحق ، حيثما توجه ، بعناد وتصميم ؟ حتى انه لم يعد يميز الصديق المخلص من العدو الماكر اللدود . الرفيق الامين الوحيد أودت به رصاصة من مسدس بوريل ، في لحظة ليست من الزمن . آه ! أين أنت يا كلبي الصغيرة السوداء ! انه لا يذكر منها الا

رَابِّ الْبُوَرْدَ

ذلك الشيء الاسود المكوح على الطريق تحت أقدام القاتل
الشرس اللئيم ...

بواسينو؟ مالاتير؟ لها بيتهما وحقولها وطرائدتها وكلها
يمسدها الناس على وفترتها وعطاتها الرسيل . ولكن سرسولوت؟
ولكن بولازيه؟ ماذا يعرف منها؟ في داخل كل رجل كائن
يختفي ، ولا أحد يستطيع ان يكتشفه حتى الرجل الذي يخفيه في
ذاته . وأحياناً تسود الآفاق في ناظريه ويعصره الأسى فيتساءل:
«ماذا أستطيع أن أفعل؟»

توراي جمه أضيق من وجوده ويستقبله بفتور
ونشوفة . وببدأ العجوز يكثر نصائحه المبطنة بالتوبيخ : «اهجر
المنطقة ، فأنت مراقب هنا وكثيرون يحاولون القبض عليك .
اعرف رجالا لا يخافون الاغتراب والابتعاد عن أوطانهم . لك
درأجتك وأقدامك كنيزه بالقوة والمرونة . تكيفك ليلة واحدة
حتى تصبح في مأمن من كل خطر !» لا شك ان توراي لم يكن
بحيلا بالنصائح والآلفاظ ...

رَابُولِيو

سَدَّتِ الْأَفَاقَ كُلُّهَا فِي وِجْهِ رَابُولِيو فَلَمْ يَعْدْ أَمَامَهُ إِلَّا بِيَتِهِ
— يَتِ سَنْدَرِينِ موجَعَةً حَزِينَةً تَحْنِي رُقبَتِهَا لِكُلِّ ضَرْبَةٍ وَتَدِيرُ خَدَّهَا
إِلَكْلِ صَفْعَةٍ . وَالصَّغَارُ التَّلَاثَةُ ! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَفْتَحُ مِنْقَارَهُ
شَهْرَهُ ! ... سَنْدَرِينِ تَخْدِمُ طَيْلَةً سَاعِتَيْنِ كُلَّ صَبَاحٍ فِي بَيْتِ السَّيِّدِ
وَجْرُونِ الْخَتَارِ . وَلَكِنْ هَذَا الْآخِيرُ تَعَاهَدَ مَعَ امْرَأَةً أُخْرَى
وَنَدِحُّهَا أَنْ تَرْتَاحَ لِأَنْ بَنِيتَهَا ضَعِيفَةٌ وَجَسَدُهَا لَا يُسْتَطِعُ
نَحْمَلُ التَّعبَ وَالْإِرْهَاقِ ... وَهَكَذَا تَتَبَخَّرُ الْأَرْبَعَوْتُ غَرَشاً
كَانَتْ تَكْسِبُهَا يَوْمِيًّا ! ...

وَهُنَاكَ أَيْضًا بَيْتٌ آخَرٌ فِي الْبَلدِ ؛ غَرْفَاتٌ خَيْرَاتٌ نَظِيفَاتٌ
لَا تَتَسَرَّبُ إِلَى جَوَّهَا حَرَارةُ الصِّيفِ الْحَانِقَةُ الْمَزْعُوجَةُ . وَمَنْ
الْأَكْيَدُ أَنَّ الْعَجُوزَ لَيْسَ لِدِيهَا مَا تَوَبَّخُ بِهِ وَلَدُهَا . فَوَلَدُهَا هُوَ
الَّذِي هَجَرَهَا بِسَبِيلِ ذِكْرِي حادِثَةٍ قَدِيمَةٍ ؟ ذِكْرُى ذَلِكَ الْوَالَدِ
الْقَنَاصُ الَّذِي قَضَى إِثْرَ دَفْنَةٍ تَلَقَّاهَا فِي بَطْنِهِ مِنْ رِجْلِ أَحَدٍ شَرَطَ
سَانْتَ هُوبِيرِ ! ... يَا لِلْعَجُوزِ الْمَسْكِينَةِ ! مَا أَكْثَرُ مَا نَحْمَلُهُ مِنْ
آلَامٍ وَأَوْجَاعٍ وَحَسْرَاتٍ ! ...

رَابُولِيوُّ

وتتابعت الايام ردية لا تتخض عن نطفة من فرج او أمل، زد على ذلك الوعيد والتهديد ينطلقان من كل جهة ويقضآن مضع رابوليyo ليلاً نهاراً. وكم غلت فيه انتفاضات ثم ما لبثت ان زادت آلامه لأنه لا يستطيع ان يحبه اعداءه ويقضي عليهم. ويحتاجه التشاوُم أحياناً ويغمره مثل مياه كثيرة فيحسن أنه قد غلب على أمره وُهزم اشتع هزيمة. وعندما قتل بوريل ستيل حدث ذاته وقال : « هل سيوقفني بوريل لأنه قتل ستيل؟ »

من حسن حظ رابوليyo ان حواسه لا تفتر همتها ولا تؤمن بالتراجع . هي ابداً حذرة واعية أمنية . ولكن ما الافادة ؟ تلك الحواس تحذر دوماً من التورط والعمل والإقدام ! ... العدو يتربص في كل مطرح ، فهو تارة بوريل وطوراً مالكورتوا ...

ومن أيضاً ؟ هناك شرط سانت-هوبير الذين لم يوهم حتى الآن . وكل عابر طريق يحظى في بداية الامر عدوأ وشرطيأ حتى زج ذاته في وساوس لا ترحم ولا تهدأ ... آنذاك راح يسخر

رَابِّ الْبُوَرْقُ

من نفسه ويعتاج الشجاعة والجلد من أعماق مخاوفه ووساوشه .
ان يترك ذاته تغرق وتتفن ! سيساعد المحن وسيوالي الانتباه
وان يتسرّب اليأس الى كيانه ! ...

وعندما يطوف ليلاً في جلالي السوّاقجير وبندقتيه على كتفه
والفخاخ في وسطه كان يتبصر بمحض مدى التهديد الذي يلاحقه .
ان سمع او رأى اي شيء ارتعش وارتجف . لربما كمن التهديد
في حيف أوراق شجرة او في خشخة اغصان ببيسة او في
حوت ثيابه العالقة بالشوك . الشبح مقيم يترصده أنى ذهب
وكيف اتجه ...

وتشاهدت الالباب كلها . حتى النهار انقلب مصدر خوف ؟ نسمة
هواء ان مررت على جسده تبعث الارتعاش في أعماقه .

هل من نهاية لتلك الحياة أم انها ستبقى دوماً هكذا ؟ هل
قدّر له ان يهرب أبداً وسوانح العمل والكدر والعيش
الكريم وفيرة بين يديه ؟ هل خلق حتى يدخل بيته كل يوم فارغ

رَابِّ الْبَوْلَبُونَ

الجيوب واليدين؟ يا الله! هل من نهاية لكل تلك المأسى
والأوجاع؟ ...

وفي إحدى الليالي المقمرة تناول بندقيته ووضع في جيبيه
بعض عشرة قذيفة وصعد نحو السو فاجير. كانت ليلة حلاوة يلاعبها
ضوء القمر ويرطبها تساقط رذاذ ناعم رخو. ومشى يدور حول
سهل بوزيدان الفسيح يزور سندياناته الأربع الكبار واحدة بعد
الأخرى. لا واحدة منها إلا وخبأت بين أغصانها بضعة تدارج
سمينة حلبة.

ولم يلبث حتى بلغ سهل بوزيدان وأشرف على المرروج
الحضر المعمورة بضوء القمر الطري. وشاهد السنديانات وقد
غرقت حتى الأماليد في لجة من الأضواء والجمال والسكون:
فوقف هنيهة يرتاح. وما انفك حتى علم مدى الخطير الذي يتوعده
لو فتق له أن يصطاد هنا! وقال لذاته: «هل جنت حتى اصطاد
في سهل لا صخرة فيه تحميي ولا جوف شجرة يؤويي؟!
وفضل أن يتبع المسير حتى السنديانات حيث يستطيع أن

رَابِّ الْبُوْلَى

يتي في أجواها كل غائلة وخطر . وسرعات ما بلغ السنديانة الأولى فوقف تحتها يأخذ قسطاً من الراحة ويتأملها بإعجاب وشره واسكار ... التــدارج تغفو فوق الأغصان الوطئية حتى أنها تؤخذ باليد . وساعدـه صوت تساقط المطر على عدم إزعاج الطيور في سباتها ؛ وراح يعدّها فإذا هي خمسة وكالها يــســيل اللــعــاب ويداعــبــ القــوىــ . ورفع بندقيــتهــ إلى كــتفــهــ ووضع اصبعــهــ على الزــنــادــ ولكن توــلــاهــ فــجــأــةــ ارــتــعاــشــ وأــحــســ بــخــورــ وــضــعــفــ . لا شكــ أنــ أحدــ يــراــقــهــ أوــ يــقــتــيــ آــثــارــهــ ... وبــيــ اصــبعــهــ جــامــدــ لاــ يــســطــعــ الضــغــطــ عــلــ الزــنــادــ ... وــرــاحــ يــصــغــيــ بــتــيقــظــ شــامــلــ لــحــواــســهــ كــلــهاــ .

وسمع صوتاً عن شماله ينطلق خفيفاً بسبب المطر المتساقط بانتظام . وزاد الصوت قوة ثم خفت . وقفز بعد ان رمى بندقيــتهــ واندفع الى خليج عن شماله فيــهــ صــراــخــ حــادــ متــلــمــ ، أــنــينــ بــحــنــونــ يــبــعــثــ فــيــهــ الــقــرــفــ وــالــشــمــئــزــازــ . وــصــرــخــ :

ــ أــنــتــ هــنــاــ ؟ يا لــالــمــســكــيــنــةــ الــحــقــيرــةــ !

رَابُولِيوُّ

وَشَدَتْ أصَابِعَهُ عَلَى الْيَدِينَ التَّحِيفِيَّتِينَ وَسَأَلَهَا :

— مَنْ هُوَ الَّذِي رَمَاكِ فِي اثْرِيِّ؟

وَلَمْ تَجْبِ بَلْ طَفْقَتْ تَرْجُفْ بِعَصَبَيَّةٍ حَتَّى طَمَأَنَّهَا وَقَالَ :

— ثُقِيْ ! لَنْ أُسِيءَ إِلَيْكَ أَبْدًا شَرْطٌ أَنْ تَتَكَلَّمِي . وَإِيَّاكِ انْ تَسْتَغْيِيْتِي إِذْ لَنْ يَكُونَ جَزْءُوكِ إِلَّا قَدْيَةً مِنْ بَنْدَقِيِّ .

— كَيْفَ أَسْتَغْيِيْتِ ! بُوشِرَانِدْ بَعِيدَةٌ مِنْ هَنَا ...

— إِذْنَ فُولاً هُوَ الَّذِي أَرْسَلَكِ ؟

— نَعَمْ .

وَأَسْتَدَّ خَفْطَ رَابُولِيوُّ عَلَى يَدِيهَا وَحَزَرَتْ مَدِيْ الحَقْدِ الَّذِي يَغْتَلِي فِيهِ فَقَالَتْ باسْتِسْلَامْ :

— سَأَعْتَرِفُ بِالْحَقْيِيقَةِ كُلُّهَا . وَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى الإِسَاءَةِ إِلَيْيَّ .

— هَلْ أَنْتِ مِنْ يَدِعُونَهَا جَنِيَّةَ بُوشِرَانِدْ ؟

— نعم .

وفهم رابوليتو كل شيء ... وتوّته رحمة وشفقة أمام هذه
الخواقة الضعيفة التي بلل المطر اسماعيلها ورطّب خصل شعرها
الأسود . هجم ، في البدء ، بكل قواه وحقده وكيده فإذا هذه
الإنسانة الحقيرة امامه ! وتخيل آلام ماضيه ووفرة الطرائد التي
منع من صيدها والحيوانات والطيور التي حيل بينه وبين قنصها .
هجر بيته وسعادته وراحة باله ! سندريلا تذرف الدموع في البيت
والصغرى الثلاثة حرموا العطف ورغيف الخبز ! حياته التي طفت
بالحروف والحدور والحرمان ! ... كم سببت له هذه الخلوقات من
أوجاع وآلام وحسرات ! ... ودّ لو يختفها الآن ... ولكن
رغم الحقد ازداد رحمة وشفقة : هو قوي جبار ، و « سوري »
حقيرة ضعيفة سريعة العطب ... فنظر إليها وزفر :

— كم أنت حقيرة مسكينة !

— نعم . لكن لا تنسّ أني أبغضه كلّ البغض . فهو لا يزال
يضربني ويؤسفني ويحتقرني .

رَابِّ الْبُوَرْدَةِ

— وَأَنَا ؟

انت ؟ احبك ولا أريد الإساءة اليك . انت لست مثله
قساوة قلب وفظاظة اخلاق .

ونهضت واتكأت بحركة تلقائية على صدره وراحت تتحدث
بإسهاب . وقالت كل شيء عن حقد قولاً ومكره ونفاقه .

واستمع رابوليyo اليها زهاء ساعة مسروراً فرحاً . وعندما
أفرغت دلفين كل ما في قلبها رفعها الى صدره وقبلها بشكر
وامتنان وإشفاق . وتناول يدها وسارا معاً مسافة طويلة حتى
انتهيا الى طريق مالقو الواسعة . ولما وصلـلا تحت الراتنجية
قال لها :

— سوف نلتقي ؟

فالقصت به من جديد وهمست في أذنيه :

— لقد خلصنا التدارج هذه الليلة . ولكن لا بأس فهي
وفيرة في كل مكان ... عليك بها في ليلة أخرى ...

رَأْبُولُونْ

وأين سنتي ؟

في أي مكان ، فانا أعرف كيف ألتقي بك ...

وأسرعت تعدد وبيقي يتأملها حتى أصبحت شبحاً أسود ،
ناءضا ، دخاناً من صمت ...

twitter @baghdad_library

القِسْمُ الثَّالِثُ

١

الرجل الذي دهش ، في الغد ، هو الكونت دي راميريه .
كان قد غادر بيته في بواسابو متوجهًا نحو غدران بات . دوا للقيام
بنزهة صباحية ؟ عادة يتمسك بها ، فهو مولع بالحافظة على صحته ؟
همه أن يبق قويًا بعد أن ناهز الستين من العمر وبدأ يحس
بالنقرس وتصلب الشرايين .

الفجر الرطب المنعش ترك على الفصون وعلى حلقات
السيجات ، رسوماً نحيفة وأشكالاً رائعة من الجليد . فوق

رَابِّ الْبَوْلَفُونِ

رؤوس الاشجار حيث تتبعثر الاماليد جمال لا شبيه له . الجو راح ينخلص من الجمود ويزداد صفاء ورواء ، حتى ان الاماليد انصرفت في ذلك الصفاء الذي كانت يبتدرّ رويداً رويداً في العلاء ...

وكان الكونت دي راميريه يسير بخطوات حثيثة ، تعب رئاه الهواء الصحي دفقات دفقات . ولم يلبث حتى تورّدت وجناته واستشعر العزم والحيوية وبجمال الحياة .

لا هدف له من نزهته إلا مضاعفة القوى وتعويض ما فقده منها . وكثيراً ما تمنت شفتاه : « لا ! لست شيخاً عاجزاً فأنا ما زلت في غمرة الشباب » .

وتسربت الشمس فتغلغلت في الخفابا جميعها ؛ شمس قشيبة حبيبة ؛ شمس جديدة لرأس سنة جديدة . وكانت الفدران الزرقاء تخالط بجز امات خيزرانها المصرف وشكها الحنائي ، وعلى صفحاتها تذوب ، أحياناً ، قطعة كبيرة من الجليد بوعضة من

رَابُولِيُّوْل

حرير . في كل مكان دبيب الحياة يسري والحيوية تتنفس وتعتمد:
الربع يغزو الكائنات ...

وصل الكونت الى الباب . دوا حيث مفترق لطرق ثلاثة :
طريق اليمين تتجه نحو بوشبراند ، وطريق الشمال تصل الى
مالقو . سلك دي راميريده طريق الوسط التي تصعد نحو بوزيدان
فاضحت الشمس وراءه وظلها يتوجرج امامه في ترجلق ناعماً لطيفاً
على الرمال ، وينتشر فوق أضاميم الخنجر حيث يتائق الندى في
آلاف من النقط .

وقف برهة يرتاح في مؤخرة بوشبراند وشاهد قبالتة كوخ
فولا محاطاً بهالة من الأضواء ؛ ورأى ايضاً شجرة الكرز البري
تحفي اغصانها السقف القرميدي مثل غيمة شفافة عريضة .

ولما هم الكونت أن يتبع نزهته توقد بخاء إذ لمج امامه
رجلاربع القامة أسود الشاربين والعينين يخرج من جوف الأجهزة
السائلكة . شدة بخاء الالقيا منعه من معرفته في البداية . رابولييو
ما حلق لحيته منذ خمسة عشر يوماً ثم هناك الاشواك والاوراق

كاظماني

العلاقة على أسمائه وتلك الهيئة التي تذكر بانسان متواحش بدائي.

وأسرع رابوليتو ينزع قبعته ويجيء . فتأمله الكونت ودمدم :
— لا شك أن في ذلك تجاسر وقبح !

- هل يسمع لي سيدى الكونت ان اقول له عبارتين لا غير
ثم أختفي؟

حينذاك اتسعت عينا الكونت دهشةً وذهولاً وتأمله مجدداً
من فوق الى اسفل وأعاد ما قاله في البداية :

— هل تعلم أنك وقع ... ذلك لا أقبل به أبداً !

ولكن رابوليوا دونا تردد او اتجاه عمد الى الحديث فقال :

- إنهم أصقوا بي تهمًا فسذرة كثيرة . أبلغوك أني لص سرقت تدارجك من بيتك . هي أكاذيب وتخريصات . قد وجهوا التهمة إلى حتى يبعدوها عنهم . الرجل الذي سرق

رايوليوم

تدارجك هو من يسكن في بوشبراند : قولا . وباعها من
تروشوت لقاء مبلغ زهيد ، لأن التدرج ضعيفة والدجاجات
مريبة . هو لص بالفطرة يسرق كل شيء منها كان ...

وابتسم دي راميريه كمن عرف الكثير حول الموضوع . وإذا
هذه الابتسامة تابع رايوليوم فقال :

— انتظر تسمع أشياء جديدة يا سيد الكونت ... عرفوا
كيف يخترون ويختفون . خبئهم ألب بينهم وضافرهم وأنا
وحدي لا مؤازر لي ولا معين . لهذا السبب فقط أحبيت أن
أتحدث إليك حتى تهتدى إلى الحقيقة وتعرف عدوّك من
صديقك .

تحدّث الفناس بهدوء كثيرو وبساطة متواخة ، وكان ينظر
إلى الكونت بصفاء وبراءة ، تتحاشى عيناه أي تحدّث وتتوخيان
الصدق والتأثير . وكان الكونت رجلاً شريفاً مستقيماً عادلاً ،
فسلط على كل حذر وربة وأفسح المجال لraiوليوم حتى يتحدث
بحريّة دون ان يقاطعه .

رَابِّ الْبُوْلَبُؤُمْ

-- كييف عرفت كل ذلك ؟ لن أعترف به امامك . ولكن
كان ذلك من اولى واجباتي حتى يتاح لي سبيل الدفاع عن نفسي ،
وأخفهم وأقطع عليهم كل طريق ... عليك ان تعلم يا سيدى
الكونت انك "سرق وتفش" في كل يوم وفي كل لحظة بأساليب
تبعث القرف وتثير الاشمئزاز . منذ خمس سنوات وفولا يقوم
بالصيد الحرام ، وهو لا ينقص بالفخاخ فقط مثلنا بل كثيراً ما
يلجأ الى الشباك : عنده منها اثنتان طويتان واسعتان : واحدة
من مئة متر والثانية مئة وخمسين ... لقد جرؤ عليك حتى تجاوز
الوقاحة . وهو في كل ذلك محفوظ مدعوم . عن ؟ بوكييل مزارعك
العام ، تانكون ...

«هل تشك في صدق أقوالي» ؟ . أظن ذلك . ولكن تحر
بفن وسياسة . آنذاك ستثق بقولي حتماً . لو لم يكن تانكون
شيئاً له لوشى به اليك ولقي جراءه منذ وقت طويل . هل
يمجوز ان يبقى مجرم كهذا يعيش فساداً وشرعاً على أرضك ؟ ثم
هل تعلم أن كيس نقودها واحد ؟ ولا شك ان تانكون سرق

رَابِّ الْمُؤْمِنِينَ

آلاف الدرام ... انه واضح الخطة وفولا ينفذها بكل أمانة
ودقة وحيث .

وكان قيل : « اذا كان رب البيت ... » هو الرقص على حبال
الخادعة والاصوصية من طرف الى آخر . الوكيل والشرفاء
والحراس كلهم يغمسون ايديهم في السرقة ... لو كانت لهم أمانة
وصدقى لكنت الان أوفر غنى وأوزن ذهباً . انا اصطاد وأقنص .
وفولا ؟ ما الذي يفعله بشباكه ؟ اذا اردت البرهان فأنا مستعد
ان اريك بعينك صدق ما أطلعتك عليه وعندما ت يريد . ثم لا بد
لك ان تعلم أن ساجبك تسرق وتتباع ويغمى تائكون حصته
الوزينة من ثمنها ...

-- لا بأس . قال دي راميرو . انا لا أشك في اقوالك .
ولكن ما هو الهدف الذي تصبو اليه ؟ هل سرقني ؟ هل فاجأك
الناظور تورنيفيه تقنص في املاكي ؟ والدعوى المقدمة ضدك هل
هي غبن وظلم ؟

رَابُولِيُو

— سيدى الكونت ! ثق أني لا أريد ان أصل الى أى
هدف ...

— حسناً ! والآن ماذا تنتظر حتى تهرب وتتوارى ؟ إذهب !
إذهب ! وتأكد أني لم اشاهدك ...

— لا شك ان التقاءنا قد ازاح عن كاهلي ثقلأ باهظاً . وبعد
كل ما سردته لك انت حرّ انت تفعل وفق ارادتك وخصوصاً
مصلحتك ...

وهم رابولييو ان يذهب و لكنه تردد اذ عنده شيء آخر لم
يطلع الكونت عليه . فتقدم منه من جديد وقال :

— لا أخفي عنك اني أمارس الصيد والقنص كسائر ابناء
بلدي ... وبدون سبب بدوا يلاحقونني ويقتلون آثاري .
وطلبو من تورنيفه ان يلقي القبض عليّ ... وذلك الشرط
بوريل الذي قتل كلبي ! آه ! كيف استطيع ان أنتقم لها من
حقدده ولؤمه ؟ وعليك ان تؤمن اني لست شريراً متورشاً فانا

رَابِيُّلْبُوْمٌ

أشبه السذج من الناس ولربما كان في ذلك خطأي وسوء طالعي .
ثم لا استطيع ان اذهب وأتوارى ... فالقصص لا يعني السرقة .
والانسان حر ان يفعل ما يشاء في حدود النظام العام ... هذا
اذا وجدت عدالة تطبق على الجميع ! ...

لا شك ان رابيليو تحدث بنفس الانفعال الذي أحس به في
فندق تروشوت . وما لبث ايضاً ان انتابته حسرات لا تهدأ
وأوجاع لا ترحم وشعور بشع بالعزلة والضعف . وبيان له ان
السيد دي راميريه قد رغب عن الاصقاء . آتئه استدار وتوارى
وفي قلبه همّ ما كان ليتصوره في يوم من الايام ...

٣

ثولا في أوقات فراغه -- وكانت كثيرة نظراً لمزروعاته --
يداوم على الصيد وخصوصاً صيد الأسماك . ويراه الناس غالباً في
مروج بوفرون يرقص جرادة أو ذبابة على جذوع الصفاصف ؟
هذا اذا لم ينحدر الى بحري نهر عاري الذراعين يبحث عن
سلطعون او شبوط كبير . وفي الغالب ايضاً كان يُرى جنباً
قناة جسر مالقو ...

كان يجلس على الحدور العاشر ، في أسفل الطريق ويرمي
الشخص في الماء ويرقب سكمة لا بأس بها . هذا الانتظار يسرّه
ويفرجه . الصيد في نظره ليس مصدر فرح او هواية بل هو
ساحة عزلة وكسل حالم حسود .

ولاشك انه شعر بشيء من الانزعاج ، في صباح ذلك اليوم

رَابِّ الْبَوْلِبُوقُ

من كانون الثاني ، عندما لمح أحد البطالين يتقدّم نحوه . انه رجل لا يعرفه ولم يشاهده قبل الآن . كان يسير بخطىٰ وثيدة قصيرة وقد تدلى خرج على خاصرته . وبعد لحظات اضطجع الرجل قربه فأدار له مالكورتوا ظهره .

— هل الصيد لا بأس به ؟

كان الصوت عظوفاً رخواً لا يثبت فيه أبداً .

النحس لا يفارقني أبداً . أجاب قوله وظهره يتضاعف حقداً وغضباً . لكن الرجل الآخر لم يدع اليأس يستحوذ عليه . بلس بجانب الصياد ، وأخرج من خرجه قطعة خبز وبعضاً من سكّة وقال :

— يا الله ! أنا تعب مثل الشيطان . ما أحوجني إلى لحظات راحة وهدوء اعصاب .

وراح يأكل بلقم كبيرة تقىّب خديه . وببدأ مالكورتوا يصغي إلى ضجة حنكـيه ، تلك الضجة البطيئة المنتظمة ...

رَأْبُولُبُولُ

وانقضت الدقائق الاولى يكتنفها صمت الرجلين لا يسمع فيها الا صوت المضغ الهادئ . ثم تدَّد القناص على العشب وعيناه تراقبان مالكورتوا .

أخيراً مسح الرجل فمه بيديه وتنهد وزفر قائلاً :

— ليت لي ليترا من خر ! واسكن لا بد للانسان ان يقبل حظه كا هو ...

ونهض ونزل الى المجرى وراح يشرب الماء براحتيه . هو الان تحت قدمي فولا . فالتفت نحوه وقال بابتسامة عريضة :

— في جيبي مئتا فرنك . احتفظ بها لأمر مهم .

وصدع حيث كان أولاً وتابع :

— هل تجد متعة في الصيد بالشص ؟ ثم ان هذا النوع من الصيد زهيد الربح قليل الافادة ... هل السمك وفيه هنا وأكثر

رايولوچي

من البلاد الذي كنت فيه؟ وهل يستطيع الانسان ان يغنم حريرته
او ادا مطلقة في بلدكم؟

نوعاً ما، أجاب قولاً.

نصحني أحد الاصدقاء ان احضر الى هنا، الى بلدكم إذ
فها ما يفيد كل الافادة. ثم أطلعني على اسم رجل، هنا،
استطيع أن اركن إليه وألقى لديه انعون المساعدة. أظن أنك
عرفة. هو رجل تخيل يدعى قولاً ...

فارتجف مالكورتوا وترك الشخص ونظر إليه شرراً وقال:

ـ من هو الذي أسرّ إليك بكل هذا؟

ـ ميلوريو. هل عرفته؟ عندما كانت في هذه المنطقة كانوا
ينادونه «بوف غرا».

واستوى المتشرد واقفاً. هو رجل عصبي مواد الدماء

رَابِّ الْبُوْلَى

في الشريين . السجن ترك فيه نوعاً من الخبر دون ان يؤثر على تورث وجنتيه . وأشار الى الجسر فوق القناة وسأل :

-- هل هذا هو حقاً جسر ما القو ؟

-- نعم .

-- وطريق بوشبراند هل هو من هنا ؟

-- الى بوشبراند اذن انت ذاهب ؟ سأله قولا .

ولم يحب الرجل . ومررت ريب على نظراته سراعان ما تحولت أخواه اقدام وشجاعة تسلط في عيني ما المكورتوا .
ثم قال :

-- يبدو لي أنك متطفل ... ولكن قبل لي من انت ؟
وما اسمك ؟

وكأن هذا الحذر أعاد الثقة الى قولا فاجاب بنشوفة :

-- أنا قولا .

رَبُّ الْجِنِّ وَالْمَوْلُودُ

آه ! أنت قد عرفت بدون شك ذلك الرجل الذي أطلق
الرصاص على رئيس شرط سانت - هو بير !

-- هو بوغوت . ونحن كنا نلقـه غـوس ...

- حسناً . انت رجل صادق لا تعرف المداورة والغش . ثم
ان ميلاريو أطلعـني على الحقيقة ...

جينـدـزـ شـزـرـهـ قـولـاـ وـقـالـ :

- ايه ! لقد أخبرـتكـ كلـ شـيـ وـلمـ اعلمـ عنـكـ أيـ خـبرـ .ـ هـيـاـ
الآنـ فـقلـ ليـ منـ اـنـتـ ؟ـ وـماـ اـسـكـ ؟ـ

أنا من بـيرـيـ .ـ اـشـتـغلـتـ وـتـجـوـلـاتـ فيـ أماـكـنـ كـثـيـرةـ
وـ طـوـفـتـ فيـ منـاطـقـ لـأـبـسـ بـهـاـ .ـ ثـمـ اـنـاـ مـثـلـكـ اـصـطـدـمـتـ معـ الشـرـطـ
وـ لـكـنـكـ أـسـرـعـتـ فيـ الـهـرـبـ وـ مـغـادـرـةـ المـنـطـقـةـ ...

- ذلكـ قـدـيمـ جـدـاـ .

رَابِّ الْبُوْلَى

— ... نصب بضعة خانع لصيد السناجب ... ومفاجأة
الشرط ... واعتراك أسفـر عن تشرد وهرـب ! ...

وبعد ذلك مـشيا جنـباً إلى جـنـب يـجـتـازـان مـروـجـاً السـولـدرـ وـقـد
تلـلـاتـ أـشـعـةـ الشـمـسـ عـلـيـ رـؤـوسـ النـبـاتـ وـالمـزـرـوعـاتـ . فـوقـ
سـطـوحـ القـرمـيدـ دـخـانـ يـتصـاعـدـ وـلـاـ يـلـبـثـ حـتـىـ يـنـتـشـرـ وـيـخـتـفـيـ . فـيـ
الـمـرـاعـيـ بـقـرـاتـ سـمـانـ تـرـعـىـ وـأـخـرـىـ تـجـتـرـ وـقـدـ اـبـطـحـتـ عـلـىـ
الـعـشـبـ كـسـوـلـةـ حـالـةـ ...

وـعـنـدـمـاـ دـخـلاـ فـنـدقـ تـرـوـشـوتـ لـمـ يـجـدـاـ فـيـهـ أـحـدـاـ . وـطـلـبـاـ بـيـضاـ
مـقـلـيـاـ بـوـفـرـةـ مـنـ الـبـهـارـ وـالـفـلـفـلـ ، وـزـهـاءـ لـيـتـرـينـ مـنـ الـخـرـ .
وـاـشـارـاـ عـلـىـ الـفـنـدـقـيـ أـنـ يـوـفـرـ لـهـاـ الـعـزـلـةـ وـالـمـدـوـءـ اـذـلـيـهـاـ حـدـيـثـ
هـامـ ... وـقـالـ قـوـلـاـ :

هـاتـ مـاـ عـنـدـكـ .

— ماـذـاـ ؟ ظـنـنـتـ أـنـكـ اـدـرـكـتـ مـرـادـيـ ! أـنـاـ الـآنـ بـدـونـ أـيـ
عـمـلـ ... هـيـ الـحـقـيقـةـ الـعـارـيـةـ ...

رَأْبُولُبُولٌ

— هل افهم من ذلك أنك تبحث عن صيد ما؟

— لا أبغى سوى ذلك.

— والصيد الذي تفضلة هل هو حيوانات وطيور حية؟

— ذلك ما قلت.

هناك بضعة تدرج تسرق الآن . ولا أريد العودة الى ذات المطرح عما قريب ... ولكن هل أنت مقدم شجاع؟

— أظن . وليس لك إلا ان تجرّبني .

لا جرم ان الرجل الغريب لم يكن متشدّقاً . ذراعاه المسوّطتان على الطاولة كنيزتان بالعضلات المقتولة . أما صدره ومنكباته فالقوّة تكثّفت وزينة في تضاعيفها . ومحياه محياً انسان لا يعرف التردد ، جريء . وعيناه لا تنخفضان إلا رهن إرادته ...

رَأْبُولُوكُمْ

وَكَانَتِ الْكَوْسُ تَتَلَىٰ ثُمَّ تَفَرَّغُ وَالرَّجُلَانِ يَسْتَمِرُّا ثُمَّ ذَلِكَ
النَّيْدُ الْفَاخِرُ السَّائِغُ . وَأَخِيرًا قَالَ قَوْلَا :

— اصْغِ إِلَيَّ جِيدًا . يَجِدُونَنِي أَسْتَطِعُ أَنْ أَسْاعِدَكُمْ كَمَا
تَظَنُّ وَبِالسَّرْعَةِ الَّتِي تَرِيدُهَا ...

— أَدْرَكْتَ مَغْزِيَ تَرْدَدِكُمْ . لَا أَرِيدُ أَدْنَى رِبَّةٍ مِّنْ أَمْرِي
تَخَامِرُكُمْ . إِنْ فِي جَيْبِي الْآنَ مَئِيْ فَرِنْكُ ، أَرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَ بِهَا
شَبَكَةً مِتَّيْنَةً وَطَوْبِيَّةً . فَهَلْ تَعْرِفُ رَجُلًا هُنَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُوفِرَهَا
لِي؟ لَا تَخْدُنِي . وَكَنْ أَهْلًا لِلثَّقَةِ الَّتِي وَضَعْتُهُمَا فِيهِكُمْ ...
فَقَالَ قَوْلَا :

— إِسْمَعْ ...

وَلَمْ يَلْبِسْ حَتَّى صَمَتْ وَرَاحْ يَفْكَرْ وَيُشَرِّدُ بِنَظَرَاتِهِ إِلَى وَجْهِهِ
مَجْهُولَةِ . فِي أَعْمَاقِ كَلَا الرَّجُلَيْنِ دِيبُ وَتَرْدَدُ وَحْوَمَانُ حَوْلَ هَدْفِ
لَا يُوحَدُ مِنْطَقَ تَفَكِيرِهِمَا . كُلُّ وَاحِدٍ يَتَبَصَّرُ بِالْآخِرِ شَرًّا .
وَجْهُ كُلِّهِمَا يَصْنَعُ الصَّدْقَ وَالثَّقَةَ : قَوَافِلُ مِنْ مَخْلُقَ تَخْيِي
مَخَالِبَ جَاهِزَةَ لِلتَّمْزِيقِ .

رَابِّ الْبُوَرْدَةِ

كان لا بد من نهاية. ثم لا شك أن المخر مهنت لها وأسرعت في
أحكامها ولادتها . وبعد أن جرع قولاً كأسه حتى النهاية قال :

أنا أريد ان أساعدك ... عند أحد اصدقائي شبكة
نتازة ... وهي لا تتكلفك كثيراً فهو مستعد ان يبيعها بثمن في
تناول يدك ... ولكن لماذا الاف الدوران ! الشبكة
عندى أنا ...

هل هي طويلة ؟

يناهز طولها مئة وخمسين متراً .

... وما هو الثمن الذي تطلبه ؟

ـ ثمنها مئتان وخمسة وعشرون فرنكًا .

ولكن اذا أحببتك الشبكة فلن مختلف ... نحن أصدقاء
ونجحنا الحرفه الواحدة ... هيا ! فلنذهب الى بيتي وهناك
ستتعرف الى زوجي .

رَأْبُولِبُول

ونادي تروشوت فشر باليترا آخر قبل ان يغادر الفندق . وأحسّ قولاً بأن تلك الحرارة التي احتسها تدندن في رأسه أحاناً جميلة جداً . مئتان وخمسة وعشرون فرنكاً ! إنها صفة لا يأس بها . وأصبح أكثر وثوقاً وتحبباً لرفيقه ووجد ألف سبب وسبب لإطراء ذلك اللقاء المفاجي .

وسرعات ما بلغا القناة واحتازها على جسر ماقو . من انفراجات الغيوم تسقط شمس منعشة تهبط بلطف على عشب الربيع . - وكثيراً ما انقطعوا عن الحديث وهو يبعده عن طريقها الاشكال المتشابكة والغضون الوطئية . وتابعاً المشي بهدوء وتأمل وشره للمناظر الخلابة والاجواء الدفينة الصافية .

ولما أصبحا في حادقة أرجاء من السنديان أو قفها ريف أجنح تدارج تطير في تصعيد مذعور نحو القمم السامقة الامينة . ولما هما بمتابعة السير فاجأهما طيران سرب من الحجال . اذ ذاك قال بونتفان :

ـ الآن فقط أدركت سرّ تعلقك بهذه المنطقة يا قولا !

رَابِّ الْبَوْلَهُ

ـ اوه ! عليك ان تعلم أن سولون كلها هكذا : وفراة طيور
وجمال منظر ...

ـ لا بد لك ان تتأكد اني سأكون عند حسن ظنك بي منذ
صباح غد ...

ولم يلبثا حتى وصلا الى بوشبراند . وحالا نادى قولا وطلب
من فلورا ان تحضر خمراً .

وما اسرع ما استجابت فلورا وحضرت . « هي امرأة لا تخلي
من سحر وجمال » تتم بونفنان ... وبدأت تضع المكرووس على
الطاولة وزجاجة الخمر وهي تبتسم وتنطيل مثل فطة تداعب .

وصدمت كأسها بكأس كلٍ من الرجالين ثم افرغتها جرعة
واحدة . ولم يطل الوقت حتى أحس بونفنان بالدفء الناعم
يتسرّب في كيانه كله . وشرد نظره من النافذة الى خارج وراح
يتأمل بناء قدیماً كان في الماضي قد استعمل فرناً .

رَأْبُولُوكُمْ

وبعد أن شرب ثلاثة حتى الارتواء وقف ثولاً بتمهل كأنه ينشر جسمه قطعة قطعة وعضوًا عضواً . ونظر اليها وقال :

— سوف أتركك لحظة ... وأنت إياها الرفيق إياك والثانية !
لديها حرارة تحرق فلن حذراً ! ...

تسلق ثولاً سلماً تقود إلى غرفة خاصة به . وسمعاً وقع أقدامه فوق رأسيهما ... ولاذت فلورا بالصمت ، فقد عرفت أن لدى الرجلين قضية لا شأن فيها للنساء . فهي قد اعتادت منذ وقت بعيد أن تهتم فقط بأعمالها ومهامها ...

وما هي لحظات مرت حتى ظهر ثولاً من جديد وقد لف جسده كله بشبكة طويلة جداً . فأسرع بونتفان يساعدها ويقول :

— هيا أنا واني إياها حتى اتفحصها جيداً ... ولكن سر قليلاً نحو الباب فالضوء خفيف هنا .

وتقدم ثولاً نحو الباب . ولما أضحي خارج المسامة سقط على

رَابِّ الْبُوَرْدَ

الارض إثر ضربة قاسية على كتفيه . ثم أحس بقبضتين من حديد
تشدآن يديه وراء ظهره .

لقد علق ثولا الآن في فخ شرط سانت . هو بيرو كما يعلق
النمس ؟ فلم يتحرك ولم يعند ولكنه مانسي ان ينكسر عن
أسنانه وأن يجعل نظراته الماكرة في كل جهة . وتطلع اليه
بونفان وقال مبتسمًا :

- قضي الامر يا ثولا وعلقت في الشرك ! ...

إنك محظوظ يا لينغلار . لم أعرفك بسبب طول حيتك .
لو لم يكتبلي زميلك لقضيت عليك حالا ...

فابتسم لينغلار بهز ، وسخرية فائلا :

- الى الأمام ، سر !

ولما حاذى الفرن اغلاق بابه على ثولا وهو يقول .
- على الانسان ان يجعل النظام سيداً في كل مكان .

٣

ما كان رابوليوا أقلّ سروراً من غيره . فقد اجتهد ، وها هو الآن يقطف ثمار سعيه واجتهاده . فقد تأكّد له الآن أن الكونت آمن بكل ما حدثه به ، لذلك طلب من شرط سانت - هوبير مراقبة قولا . ولم يلبث لينغلار حتى التي القبض على مالكورتوا وزوجه في ظلمات السجن . واستشعر أن الثقة التي استطاع ان يوجدها في صدر الكونت قد تخلى له ، في المستقبل القريب ، أياماً أكثر هدوءاً وأوسع راحة بال وأذخر اطمئناناً ومحبة ... وعطفاً .

لا شك أن قولا يبغضه الناس كلهم لذلك لن يجد من يشفع به ويشفق عليه . ما أشبهه بالجرب والوباء يدنس البلد كله ! بعد الآن الهواء سيطهر ويضحى أقلّ ثقلًا وضيقاً . ثم من الميسور

رَأْبُولِبُوك

له، مادام ثولا في السجن، أن يتحرر رويداً رويداً من المراقبة المتابعة وإن ينعم بحرية حركاته وسكناته وذهابه وإيابه ...

ورغم سروره بنهاية ثولا فقد ودّ الأتعب أفكاره بالتنبؤ والحدس. هل تنبأ أن «سوري» سوف تخون ثولا في سهل بو زيدان، وإنها ستطلعه على أشياء كثيرة؟ المستقبل قريب؟ يكفي كل يوم منه أو حظه ...

ما أكثر ما كان يلتقي «سوري». وفي اغلب الأحيان أخايه وترجعه تلك اللقاءات. هو يقت الاسلوب الذي تفاجئه به «سوري» وهي تظهر أمامه حين لا يريد منها ذلك ولا يتوقعه. كله ثقة أنها لا تبطئ له اي شر أو سوء ولكنه ما زال يؤمن ، أحياناً ، من تصرفاتها . فعندما كان يأخذ يدها ويسيران جنباً إلى جنب يشعر حالاً أنها لا تستسلم بسهولة وتبقى غامضة ، غريبة . ثم انه لا يستطيع دوماً ان يسرى غور عينيها وما يدور داخل رأسها النحيف من أفكار ... وكم مرة استفسر منها فلاذت بالصمم ولم تجرب ! وهي لا تفتّأ تقص عليه ما يثبت عزائمه ويدخل التشاوؤم إلى حياته . فكانت تردد :

رَابُولِيوُمْ

-- إنهم هناك ! يختبئون في بواسابو . مرادهم القبض على رجل آخر ... لحت بوريل يهمس في اذن تانكون : « سوف ينال جزاء ما فعل ... وفي المستقبل القريب ... » ثم يقهقه الرجلان بلؤم وحقد ...

مع كرور الايام أدرك رابوليتو أنه فرح قبل الأوان المناسب وأنّ عليه ان يبق حذراً متنهاً . اذا كان قولا في السجن فلا يعني ذلك أن أعداءه رموا السلاح واخلدوا الى المهدنة .

الكونت ؟ رابوليتو وقولا في نظره سواه ؟ فنماص يخون ويوقع بفناص آخر إما حسداً وإما نحسناً . تانكون ؟ من الاكيد انه يبغضه أشدّ البعض ، بسببه حامت الاتهامات فوق رأسه وحفلت الريبة خفقات قواده . لا بدّ انه شاهد قولا يقاد الى السجن وأحس ببرودة الأصفاد تيسّر قبضته ، هو من الرجال الذين لا ينسون بسهولة ! ... وتورنيفيه ؟ يقضى لياليه في الطوفان والحراسة ؟ فقد لا تضي ليلة لا يعكرها نباح كلبه الضخم ...

رَابُولِيُّو

و «سوري» لا تني تخبره إنها تشاهد بوريل يومياً إما على طريق الأوبيت وإما على طريق بواسابو . ونادرة أيضاً إليه إلى التي لا يرى فيها رابوليyo ، من نافذة بيته ، ضوء دراجة على الطريق ؟ ويقترب ذلك الضوء على مهل ويفحص وجهة البيت ... وحينذاك كان يتميز ، بسرعة أحياناً ، شبح الشرطي وخوذته فوق رأسه ... لماذا لا يقترب ويحاول أن يلتقي القبض عليه ؟ إنها أمور تضاعف القلق وتتيح المجال الرحب الواسع للهواجس ...

كان رابوليyo قد سعى أن يقوم بالعمل في مكان آخر . وانحدر نحو أراضي الكومينو الواقعة بين هرديلات والقناة . ولكنها منطقة تفتقر إلى الحيوانات والطيرور لكثر ما ارتاد مطاويها القناصون . وفضل أن ينتقل إلى وادي بوسبراند حيث يستطيع أن يصطاد وفق هواه في مأمن من أخوااء القناديل وعيون التواطير والشرط . ففي ذلك الوادي تكثر غابات الصنوبر وأجرام الرتم على جانبي الساقية العريضة التي تذهب حتى السوڨاجير ... إنها منطقة وفيرة بالحيوان العديد وبالطير الملحيم الصدر .

وفي احدى الليالي ، فيها هو يطوف في أرجاء بوشبراند ، وقع نظره على « سوري » تخرج من جوف علية وتقرب منه . كانت الساعة تناهز الثانية عشرة ليلاً . وقف رابوليو وتألف قائلاً :

— أما زلت تبحثين عنِي ؟

— لن أترك عادي .

كانت تبدو مرتعدة من تجففة يخضها انفعال لا عهد لها به من قبل . وأمسكت بيده وجرّته في طريق ضيق وهي تهمس بفروع صبر :

— اسرع ! اسرع ! هناك شيء سأريك إياه ، والساخنة لأن مؤاتية .

وراحت تسلك الطريق الذاهب من بوشبراند نحو مفترق بات — دوا وما لقو وبوزيدان حيث تتسع من هناك نحو بواسابو . ولم يلبثا حتى أصبحا في جوار كوخ ثولا . فأشارت عليه بالوقوف

رَابُولِيوُمْ

والمراقبة . وراحوا ينظران من خلال النافذة بضعة من الرجال أحاطوا بطاولة وهم يتهمسون ويتشارّون . فاستدارت حوبه وقالت :

— هل رأيت هؤلاء كلهم واحداً واحداً؟

ولما بقي صامتاً لا يجيب ، عادت فسألته من جديد :

— أظنّ أنهم يريدون بك سوءاً؟

خفض رابوليyo من نظره ثم جبها وأجاب بصوت ساخر غير مبالٍ :

— من الجائز ... على كل حال لا بدّ لي من شكرك لأنك ألمت لي الفرصة حتى أشاهدهم ...

وعند ذات دوائرك «سورى» وسلك طريق ما فهو متوجه صوب بيته . دافع خفي يشدُّه نحو بيته إذ يتاح له هناك أن يرى وجوهًا جديدة يستبدل بها نظرات المكر والريبة ... لا يزال يعيش

رابوليتو

انفعال وتأثير مشهد أولئك الرجال حول الطاولة ... لم يتھيأ له
فهم كلمة واحدة من أحاديثهم التي غرفت في لعنه وجلبته
ومساره . ولكن أمارات وجههم وملاحمهم تنبئ بالتهديد
والوعيد ... والسحق والدمار .

وأوضح لرابوليتو بعد الآن أن قولاً لم يكن عدوه الوحيد .
فقد تأبَّحَ حول تلك الطاولة الكونت راميريه ، تأنكون ،
لينغلار ، بيفوتو وفرمان ثم تورنيرييه الذي لا يسعى إلا إثْرِ
رغيف الخبز . وكان هناك أيضاً داغوريه ...

حتَّىَ الخطى يعود إلى دفء وهدوء البيت . ولما اجتاز الجسر
فوق القناة توقف لحظات مستندًا إلى الحاجز ودمدم أكثر من
مرة «بوريل» . ورأت أحرف ذلك الاسم البشع في أذنيه بقوة
وامتداد . لفظ تلك الأحرف كمن يحاول أن يخلق صورةً واضحةً
جليةً لوجه ذلك الشرطي ... «بوريل» من هو ؟ ولماذا هو
هكذا ؟ ولماذا له تلك القسمات الباردة ، الناشفة ، القاسية ؟ وما

رَابِّ الْبَوْمَ

هو دافع ذلك العناد الشرير ومصدر ذلك اللؤم الأشدّ وقعاً من
السجارة الصلبة؟ ...

عيشاً حاول ان يجد تفسيراً لكل تلك الأحاجي والألغاز .
ارتفق الحائز من جديد وحنى رأسه يتأمل المياه . هي جامدة
لا تحرّك في ذلك الليل القاتم . أشباح الصفاصاف تغفو على
منحوتها بربابة ودعة . شاعر ضوء وجيف انحدر يموت فوقها وقد
قط من خبوة غيمة . وتأمل بنهم وحسرة ذلك الضوء وتصر :
« ماذا فعلت به؟ لم يكن مني ما يسيء اليه سوى أنني هربت .
هل كان في مقدوري إلا ان أتصرف على هذا النحو؟ ...
هرأت من فندق تروشووت . رفضت المثول أمام المحكمة .
ومنذما حضر يوقفني هربت من جديد . ثم ماذا فعلت؟ راح
ياقبني ويترصدني في الليل والنهار فلم يسعفه الحظ حتى يلتقي
اللهعن علىّ . استuan بالختار برجرون فلم يفلح ايضاً ... وهو
الآن يدفعه في اثري جنون حاقد ... لقد أردى ستيلادونغا رفة
من جهنم وخفة رحمة من فؤاد! لو كانت انساناً عادياً لما انتقم
من حيوان ضعيف أعزل ... »

رَأْبُولِبُولٌ

ثم رفع رأسه واستنشق الهواء المنعش ملء رئتيه. وعاد
يتمتم : « والآن ؟ ماذا سأفعل ؟ هل قدرني ان أداوم على
الهروب والاختفاء ؟ ... » وفرك جبينه بترفزة غضب وجحيم :
— لا . لا . ان أهرب دوماً ...

ولكن هل يستسلم ويقدم يديه لأحفاد بوريل ؟ مجرد
التفكير السطحي بذلك أهابه ودفع دماء الحنق والانفعال الى
وجنبيه . وتصور ابتسامة بوريل الساخرة وضحكة التشفّي
تطلّقها سفتاه ! ثم يسير امامه مثل كاب ويغلق عليه وراء قضبان
« السجن » ! وتوالت الانفاس في صدره حتى استحال لهاثاً انقلب
ارتجافاً وارتباشاً ... وبكاء .

واندفع يعدو من جديد والهوا يحمله حمياً ويشبع البرودة
في أوصاله ودمائه . ولم تلبث حتى غابت من خياله صورة بوريل
وحقارة الاصفاد وظلمات السجن . وأحسّ بان القوة تولد فيه
من جديد فدمدم بعزم وتصميم : « سأهرب دوماً ولن أستسلم
مهما حدث ... سأجد مطرحاً لي في هذه الغابات عندما أريد ...
ولن تخفّ ينابيع الرحمة في الكون ... »

٤

لا بد ان تحين تلك الساعة حيث تجلس سندرين في البيت
عاطلة متشائمة تحني رقبتها تعباً وضفراً وحسرة . هي صامتة
ولكنها دائمة التفكير والتحسّب بأشياء أولى بدائمة ضروريّة:
المعبّن فارغ ، الفرن بارد والصغار سيعودون من المدرسة بعد
دقائق معدودة ! ...

من الصعب تصوّر حالة كهذه ؛ ولكنها الحقيقة المجردة
وال موضوعية العارية الواقعية . في هذه الساعة كان رابولي يسير
نحو البيت ولا أحد يستطيع ان يبدّل وجهة سيره ...

هو الآن يقف الى جانبها ويتأملها بسكوت . وترفع اليه
عينيها وترسم على شفتيها ابتسامة فقيرة خاطفة . انها تلجم اليه
وتحتمي به وتضع بين يديه حسراتها ، هواجسها ، مخاوفها

رَابُولِيوُمْ

وخيالات الوجوه الثلاثة حيث الاصرار والضعف راحا يرتعان ويستبدان. في الصندوق قطعة جبن جفت وفeta من الخبز وبعض البقول ... ونعود تنظر اليه من جديد وتبتسم ... عيناهما الزرقاو ان ترطبنا وترضرت أهدابها. وجهها تضيءه صلاة تسترحم و تستعطف رفده ذلك الرجل الواقف الى جانبها... في مقدور رابوليوا ان يقوم بأشياء كثيرة : ذراعاه قويتان جداً؛ الشجاعة تفيض من قلبه زد على ذلك ما وُهب من ذكاء، ومهارة وسرعة تلقي الساقحة الاولى ... وتبقي الابتسامة الحزينة على شفتي سندرين فيما غطى عينيها بخار الدموع الذي تطور الى التاع مرتعش مرتجف . واستطاع ان يشاهد على زاويتي فمها خوفاً صبيانياً اوجده الحنان ولربما سببته الدموع .

رابوليوا لا يفتا يتأملها مرغماً . وبانت أمامه بوضوح الشفتان الرقيقتان الورديتا اللون حيث تتشابك اخاديد ناعمة . ثم تيز في طرف الرقبة ذلك الشريان النابض بسرية وخفاء؛ هي حياة سندرين بكل ما فيها ، تتحقق في الشريان امام عينيه . كل خفة

رَابُولِيوُزْ

تصدمه وتصدي في كيانه حتى أعمق أعماقه. ويلاح ضائعاً في تأمله وتخيله . أمواج فاترة تعصف به وتتوالد وتنبع ؟ هي شبه دوار يندّ ويكتسح ويوجع ...

سندرин ... مضت عليها ست سنوات وهي في هذا البيت . لقد أخذت مكان مونتان العجوز ... ولكن دموع سندرين ما سبب جريانها ؟ وما هو حافز سيلها المتابع ! ... وتم بشرود وضياع : « سندرين ! يا زوجي المظلومة المسكينة ! ... »

واستدار رابولي يرتعش ويرتجف . وكَوْدَ لويونتي على الأرض يستغفرها ويطوق رجلها بذراعيه ويقول : « رحمة يا سندرين ! الخطأ لا يقع على وحدي ، فهناك من زجَّ بي في خلاته ... لو يقدِّر لي ان اعبر ذلك الطريق وأجتاز تلك العقبة ! ... آنذاك سترين أني رجل استطيع ان اعمل وأجاده وأنبدل الحسرات أفراحاً ومسرات . لقد احترمتك وأحببتك دوماً . هل ضربتك في يوم من الايام ؟ وهل رجعت الى البيت يتعنّي السكر ؟ آه ! لو أنتَم بالحرية ! ولكن إياكِ ان تفسحي

رَابُولِيوُمْ

المجال لليلأس الى قلبك ... سأحاول ... سوف ترين
يا سندرين ...

سأحاول ولا بد من الانتصار والنجاح ... »

عليه ان يبتتها كل ما يجيش في صدره من حنان وفي قلبه من حبٌّ وفي رأسه من تصميم على خلق مستقبل زاهر بسامٌ .
سيجعلها تشعر بتلك الحرارة التي تلهبـه وتحنقـه في حنجرته الكلمات . سيعمد الى حـوكلـ ما يـشوشـ صـفـاءـ وجهـ سـنـدـريـنـ في ناظـريـهـ . وفضلـ الصـمتـ اذ رـعاـخـانـتـهـ عـبـاراتـ لاـ تـقوـيـ زـوـجـهـ علىـ قـبـولـهاـ اوـ إـدـراكـ مـرـاـمـيهـ . وابتـعدـ عنـهاـ وراـحـ يـذـرعـ الفـرقـةـ بـخطـواتـ وـاسـعـةـ تـضـربـ الـأـرـضـ فـيـسـمعـ صـداـهاـ .

— رحـماـكـ ياـ اللهـ ! ماـذاـ عـلـيـ انـافـعـ ؟

رابوليـوـ يـسـأـلـ ذاتـهـ الآـنـ . مـاضـيـهـ كـلـهـ لـاـ يـنـفـحـهـ نـصـيـحةـ اوـ قـبـاسـاـ ضـئـيلاـ منـ النـورـ . وـيـقـيـ فيـ دـاخـلـهـ تـحـذـرـ وـحـزـنـ وـوـجـعـ . وـتـولـدـ فيـ صـدـرـهـ ثـورـةـ ضـدـ الـقـدـرـ ...

رَابُولِيوُزْ

سندرين لا تزال جامدة . ولكنها نظرت اليه بشقة وعزم
لم يرَها منها من قبل وقالت :

ـ إذهب واستشر والدي يا رابوليyo ... واعمل بكل ما
ينصحك به .

لا حرج عليه ان يذهب الى توراي . فقد مضى وقت ليس
باليسير لم يجتمع فيه اليه . لا شك أنه يرى في حموه ، في غمرة
هذه الساعة المصيبة ، عبقر يالا يعدم النصح والإرشاد والحكمة .
سيتبع نصائح توراي ويعمل بوجبهما حتى ولو كانت لاتناسب
تفكيروه . وتأكد له ان سندرين على حق .

وفيما هو يهم بالذهاب وقفت في طريقه وغرزت عينيها في
عينيه . وأحس بالضيق وود لو يهرب من سهام نظراتها ولكنه
حصد محاولا خلق الصفاء والحنان في نظراته . وسألته سندرين :

ـ أهذا هو كل ما تريد ان تقوله لي يا رابوليyo ؟
ولما بقي صامتا لا يجيب قالت :

رَابِّ الْبُوْلَبُول

- هل تعلم انك رميـت بي الى الحضـيـض وحـقـرـتـي ! أليس
لديـكـ كـلمـةـ وـاحـدـةـ تـقـوـهـاـ ليـ ! أـتـعـبـرـنـيـ غـرـيـبةـ عـدـوـةـ حـتـىـ تـغـلـقـ
فـكـ وـتـطـبـقـ عـيـنـيـكـ ؟ السـكـوتـ يـرـغـمـنـاـ عـلـىـ أـنـ نـوـتـ بـدـوـنـ
اعـتـرـافـ ...

وـصـرـخـ رـابـوليـوـ بـغـضـبـ وـقـسـوةـ :

- ماـذـاـ أـقـولـ لـكـ ؟ هـلـ أـخـبـرـكـ أـنـ أـلـحـ المـبـرـدـ ؟ ! سـدـّـتـ
الـمـنـافـذـ كـلـهاـ فـيـ وـجـهـيـ . هـمـ جـمـاعـةـ يـقـنـفـونـ آثـارـيـ وـيـقـتـرـعـونـ عـلـىـ
جـلـدـيـ . هـمـ أـشـرـهـ مـنـ رـعـيـلـ كـلـابـ سـفـيـانـ مـفـتـرـسـ ! أـلـاـ تـسـتـطـعـيـنـ
أـنـ تـخـزـرـيـ مـقـدـارـ وـجـعـيـ وـحدـكـ ! أـلـاـ تـدـرـكـنـ مـقـدـارـ آلامـيـ كـاـ
ادـرـكـ وـسـاعـةـ أـحـزانـكـ ! ...

- وـلـكـنـ أـينـ نـهـاـيـةـ الطـرـيـقـ الـذـيـ نـسـيـرـ فـيـهـ ؟ أـلـاـ تـدـرـيـ أـنـ فـيـ
نـهـاـيـةـ ضـيـاعـكـ وـضـيـاعـيـ ... وـضـيـاعـ الـأـوـلـادـ ؟ ! لـقـدـ اـبـتـعـتـ خـمـراـ
رـدـيـةـ شـرـيـةـ فـسـارـعـ إـلـىـ اـحـسـاـئـهـ قـبـلـ فـوـاتـ الـأـوـانـ .

فـزوـىـ مـاـ بـيـنـ حاجـبـيـهـ وـشـرـرـهـاـ وـقـالـ باـحـتـدـادـ :

رَابُولِيوُّ

.. آه ! ماذا تريدين ان تقولي يا سندرين ؟

وترخت لحظة تحت وقع الصوت القاسي ينهال عليها مثل عاصفة هوجاء ، هي التي لا تتزعزع من البيت أبداً خبرت سواد الايام اكثر منه . ونفحها الرعب قوّة وشجاعة لفروت ان تقول دون أي خفض في نظراتها :

— عليك أن تستسلم يا رابوليـو .

ذلك هو الذي استشعره من قبل وهي تتحدث اليه . ولم تبدُ منه حركة واحدة بل تغلغل في نفسه و تكوار مثل قنفذ داهمه خطـر مفاجـىء .

وعادت سندرين تقول باسترحام وهدوء أعصاب :

— كن على ثقة ان كل دقة تـر وكل يوم ي AFL يضاعفات التهاب الشر وامتداده في كل جهة . ما أأشبه حالتك بحرج لا تزال الشوكـة داخلـه . بادر الى إخراج الشوكـة حالـا يا رابوليـو حتى لا

رَابِّ الْبَوْلَى

يَلَّا الصَّدِيدُ جَرْحُكَ وَيُسْتَحْيِلُ شَفَاؤُهُ . أَنْتَ أَدْرِى النَّاسَ بِاتِّساعِ
الشَّرِّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ... إِذَا خَانَتْكَ الشَّجَاعَةُ وَلَمْ تَرْحِمْ نَفْسَكَ
فَارْجُو أَنْ تَرْحَمَنَا نَحْنُ وَتَشْفَقْ عَلَيْنَا ...

هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى تَسْهَبُ فِيهَا بِالْتَّحْدِيثِ وَتَسْتَرِسُلُ دُوْغَا خَوْفُ
وَتَرْدُدٍ . وَكَانَتْ لَا تَرَالُ تَخَاوِلٌ إِقْنَاعَهُ بِوَجْهِهِ نَظَرُهَا عِنْدَمَا فَتَحَّ
الْبَابَ أَمَامَ الْوَلَدِينَ الْعَائِدِيْنَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ...

وَلَمْ يَلْبِسْ رَابِّ الْبَوْلَى حَتَّى غَادَ الْبَيْتَ بِهَدْوَءٍ وَسَكُونٍ . وَوَثَقَتْ
سَنَدَرِيْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِ وَالِّدَهَا تُورَايِّ . سَلَكَ الطَّرِيقَ
الْمَتَسَلِّلَ بَيْنَ الْحَدَائِقِ وَهُوَ يَسْتَذَكِّرُ الْمَاضِيَ الْقَدِيمَ ...

وَالْتَّقَ تُورَايِّ يَرْوَحُ وَيَجْبِيْءُ بَيْنَ حَيْوانَاتِهِ وَطَيْوَرَهِ الْمَصْبَرَةِ .
وَحَالَّا وَقَعَ نَظَرُ حَمِيْهِ عَلَيْهِ اِنْتَهِرَهُ وَقَالَ :

— هَلْ فَقَدْتَ رَشْدَكَ يَا رَابِّ الْبَوْلَى ! لَمَذَا رَفَضْتَ دَفْعَ الْفَرَامَةِ
وَكُنْتَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟ اِمَا الْآنَ فَقَدْ تَطَوَّرَتِ الْأَمْوَارُ ...
وَلَكِنْ هِيَا تَنْتَهَى بِصَرَاحَةٍ وَمَوْضِوعِيَّةٍ . اَنَّ الْفَضِيْلَةَ لَيْسَ

رايوليو

بالصعوبة التي تتصورها . ولا يلزمك إلا قضاء بضعة أسابيع في السجن ... هيا واعمل بنصيحتي يا ولدي ... عليك ان تتخالص من المأذق الخرج الذي رميتك به ذاتك ... وسندرين والأولاد . وأنا عليّ ان اتدبر امر العيلة حتى تعود ... ثم اني على أتم الاستعداد ان انقد سندرين مبلغ مئة فرنك تدفعها لي في ما بعد . لو لم أثق بك وبشجاعتك وحكمتك لما كنت رضيت ان ازوجك ابنتي الوحيدة ...

وزفر رايوليو : « هل أنتا على اتفاق سابق ؟ ... »

ثم حنى رأسه مثل كبس عنيد يساق . ووجه لا يردد على توراي الا بالإشارات المقتضبة . وما لبث حتى خرج اكثرا اخطر اباً وفلقاً من أيّ وقت مضى . وكان الدليل قد شرع يلف الكائنات وبدأت تشع من نوافذ البيوت أضواها القناديل . قلبه في صدره تقل حتي تمنى لو ينقطع عن الحففان ...

وانحدر في طريق السولدر ووقف أمام بيت ليس له ما

رَابُولِيُو

يُمتاز به عن بقية البيوت . السراج المضاء يُشعّ من النافذة ضوءاً خفوتاً متجلجاً . دنا من النافذة وراح يتأمل : غرفة ضيقة تبعثر فيها أثاث قديم ولكنها نظيف ؟ على الحائط تستند خزانة ثم موقد في الوسط والسرير ذي الشرافش الناصعة البياض مقابل الخزانة ؟ فوق الخزانة كان السراج ؟ والموقد لا زار فيها .

كانت موئستان العجوز جالسة على كرسى مُسندة ظهرها إلى السرير . من يراها يظنها نائمة ولكنها واعية تُقرّ اناملها برتابة على حبات سبحة سوداء . وأحياناً ترفع رأسها وترمق صورة المصلوب وقد أحاطتها غصن من البقس او صورة عذراء سولون . العجوز وحدها في تلك الغرفة . وكانت قد وضعت على رأسها في تلك الليلة قبعة بيضاء وغطت كتفيها وظهرها بجرام من الصوف الأسود ...

بني رابوليتو يتأمل والدته بصمت ورهبة . وأحسّ بدمع ينبلج في مآقيه ... ولما حاول الدخول خانته الجرأة ... وعاد من حيث أتي حزيناً يتحسّر ...

٥

سار رابوليتو وئيد الخطوات مفجوع الجنان . ولما اضحي في
وسط الطريق بين الاوبيت وبنته التقى صديقه سرسولوت .

كانت الساعة تشير الى منتصف الليل . الظلام الحالك تبسّط
على كل شيء حتى امتنعت الرؤية على العين المجردة . واستعاد
رابوليتو بعضاً من فرح وعزاء عندما سمع صوت سرسولوت ، إذ
مضى عليه وقت طويل دون ان يصفي الى خنخته ومزاحمه
ومرحه . وابتدره سرسولوت حالاً :

— أين كنت ؟ ... لا ازال انتظر التقاءك منذ مدة طويلة .
هل نستطيع أن نتجدد ؟

وبعد انت اعادت لهجة الصدقة الحقيقة الجميلة الدفة الى
رابوليتو أجاب :

رَابُولِيُو

— وأنا بدورني يجوز لي ان اعتب عليك . لماذا لم تزوري دلو
مرة واحدة في بيتي ؟

— لا تعتب يا أخي . ترددت في زيارتك لأنني ظننت أن
زوجك لن تسرّك كثيراً عند رؤيتي .

— هل من جديد لديك يا سرسولوت ؟

— نعم .

— وصيد بواسطة القناديل ؟

— بكل تأكيد .

— أين ؟

— في السوقاجير .

واندفع الدم يمور في شرايين رابوليتو وخضته التجربة
أعنف من عاصف الهواء . واقترب من سرسولوت وهمس :

كابولون

— وأنت وحدك؟

— سوف يرافقنا برلازيه.

— ثم ماذًا من بعد!... آه! اذهب أنت وبرلازيه واتركاني
و שאني ... ولكن ... الويل للقدر!

فاسرع سرسولوت يهزه بحب وعنف:

— نريدك تسيير معنا. لقد خططتنا لذلك وعليك ألا تتأخر
أو تتردد. السانحة متازة ولن تعود... كل واحد منا سيروح
متى فرنك. وكانا بأشد الحاجة الى مبلغ كهذا. ثم هل غاب
عنك انك أمهل من نفس وأخذت من حمل البندقية...

— ما أخلص قلبكما أنت وبرلازيه! ولكن أنت أدرى
من سواك بالماذق الذي تورّطت فيه! وهل تريدينني أضاعف
تعقيد مشكلتي!... كثيرون يقترون آثاري ...

— من؟ شرط سانت هو بير؟

رَابُولِيوُّ

ودنأ منه سرسولوت ووضع فمه على أذنه بعد ان تلقت
حواليه وهمس :

— قد ذهبوا في هذا المساء واستقلوا قطار الساعة السادسة .
ورأيتم يصعدون ، أنا بنفسي ، الى القاطرة . صدفي يا رابوليوا

— أنت متأكد انك رأيتم يذهبون ؟

— كما أراك الآن أمامي .

— ولكن ، هل نسيت مكر بوريل ؟

— هل في مقدور بوريل ان يكون في كل مكان ؟

— والحراس والنواطير ؟

— أنا أتدبر أمرهم . ثم ان وقت جولاتهم لم يحن بعد .

هم رابوليوا ألا يترك خجوة واحدة يهب منها هواء المجازفة .
فقد اشحاذت نفسه من الاعتزاك والهرب والخاذرة ... آنذاك ،

رَابِّ الْبَلْوَى

وقد مهـد سرسـولـوت كل عـقبـة ، افـتـرـت أـسـارـيرـه وـالـمـعـتـعـنـاهـ فـوـاقـقـ . منـذـ زـمـنـ بـعـيدـ وـهـوـ يـعـيـشـ خـارـجـ دـائـرـةـ حـيـاتـهـ وـفـيـ مـنـأـيـ عـنـ أـحـبـ شـيـ . إـلـيـهـ فـيـ الـوـجـودـ . وـسـرـعـانـ مـاـرـاحـ يـشـ رـوـائـعـ الـغـابـاتـ وـيـصـفـيـ إـلـىـ عـدـوـ الـطـرـائـدـ وـرـفـيفـ الـأـجـنـحةـ ... عـبـاراتـ سـرـسـولـوتـ أـوـامـرـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ دـحـضـهـاـ وـالـنـكـوـصـ أـمـامـهاـ ؟ـ هـيـ مـفـعـمةـ عـزـمـاـ وـتـصـمـيمـاـ وـاسـتـدـرـاجـاـ وـاسـتـهـواـءـ ...ـ «ـالـأـرـابـ»ـ تـحـيلـهـاـ تـقـفـزـ فـيـ غـابـةـ السـوـقـاجـيرـ ،ـ فـيـ الـأـرـضـ الـبـورـ ،ـ فـيـ الـبـوقـرـونـ وـفـيـ أـجـهـاتـ بـوـشـبـارـانـ ...ـ وـالـأـجـمـالـ وـالـتـدـارـجـ وـكـلـهـاـ تـتـنـادـيـ ...ـ

...ـ مـوـعـدـنـاـ غـرـاءـ ،ـ قـالـ سـرـسـولـوتـ .

...ـ مـاـ اـطـوـلـ الـانتـظـارـ حـتـىـ الغـدـ !

وـاسـتـبـشـرـ سـرـسـولـوتـ وـامـتـلـأـ عـطـفـاهـ جـبـورـاـ لـأـنـهـ اـسـطـطـاعـ
انـ يـعـيـدـ رـابـوليـوـ إـلـىـ أـجـوـاءـ الـحـيـاةـ الـلـوـلـةـ الزـاهـرـةـ ...ـ

٦

كانا قد أحكموا حبك المؤامرة وتحسّبا لكل طارىء مفاجىء،
وصدّ رابوليتو، بعد أن ترك سرسولوت، نحو بوشبراند، إذ
عنهـ كلامـ يـقولـهاـ هـنـاكـ .

وكانا قد تجاوراً مدة لا بأس بها. رابوليتو متعدد بسبب
تفكيره بـ «سوري» ويتذكّر ما يشعر به في قربها، من الجمود
والعزلة الجليدية. ولكن سرسولوت أرغمه على الإذعان والرضوخ:
«لا مندوحة لنا عن الذهاب إليها فقد نحتاج وقداً للقنديل او
يازمنا تخفيف ثقل الصيد عن منا كينا؟ ثم سيكون لنا الفرن
المطرح الأمين المناسب... وأجدر لنا أن يكون لنا شخص
نعتمد عليه. فلورا لا تختررك أبداً... ولا تنسَ أن النساء
يُحدقونَ الكذب...»

رَابُولِيوُّ

حاما سمعت فلورا صوت رابوليyo أسرعت تفتح له . هي تريد
بقوة كل ما يطلبه منها : إنها ترضي منه أي شيء مهما كان .

الظلام حقيق مطبق في الغرفة حتى لا مجال لرؤيه واضحة .
وقفا ، الرجل والمرأة ، يتهمسان ، وجهها إلى وجهه . وعبقت في
أنف رابوليyo رائحة الشعر والابطين والوجه والعينين ... ومدَّ
ذراعه يلعقها حول حرارة ودفء ... وللحال التصقت به فعامت
الدنيا في عينيه وقلبه وروحه ...

وفي احدى الزوايا سمعا خشخشة فانفصل بسرعة وقال
رابوليyo بصوت مرتفع :

— لماذا لم تنامي حتى الآن يا « سوري » ؟

ولم نحب الشيطانة الصغيرة . فأردفت فلورا :

— هي كما تعهدنا لا تتبدل ... ولكن متى ستعود ؟

— عمماً قريب ...

رَابِولِيُو

وخرج وهو لا يشعر بالحُكْم والاعتراض . لم يحضر الى
بوشبراند ل القيام بأعمال كهذه ! ...

وفي العد ، عند تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً ، التقى الرفاق ،
من جديد ، في طريق الاوبيت بين غابتي شانتلو والسوڤاجير .
البندقية فوق كتفه وفي جيوبه ما ينافر الأربعين طلقة . ولما
حاذاهم سأله :

- هل القنديل معك يا سرسولوت ؟

- نعم .

- هيا بنا ! فالوقت من ذهب .

وسلكوا طريقاً متعرجاً تجثم فوقه الاسرار . ووجدوا أزراراً
بالليل الحالك وبالسماء تلبدت بغيمون كثيفة عريضة . ثم ان الطقس
لم يدخل ببعض الاعتدال رغم عويل الرياح بين غصون السنديان .

- من هنا ، همس رابولييو .

رَابِّ الْبَوْلَى

كان هو رائدهم فقد عرف المنطقة جيداً زد على ذلك انه امهرهم في التخفي والتصدی لاطواری والتجاءات . وكم مرة أدمت أرجلهم الاشواك المروسة وأرغمتهم على السير ببطء وحذر .

وأشار عليهم رابوليو بالوقوف . فسأل برازية :

-- هل وصلنا ؟

-- نعم .

وببدأوا يتبعرون ، أمائهم ، مساحة من الارض منبسطة الاطراف يسيل الهواء في جنباتها مجرية وشمول . وبانت لأنظارهم السماء بوضوح ؛ فسحات من الاصرار ، بين هوى اكثر ظلاماً ، تفاصي الغيوم المتحركة بدون مال من الشرق الى الغرب .

-- هات ماء يا سرسولوت !

وعمل سرسولوت بما طلب منه حالا . ثم توغل الرجال

رَابُولِيُو

الثلاثة في الأرض البور محاولين رفع ارجلاهم حتى لا تجرحهما
الاشواك الحادة ...

-- أضى .

فارتجف هب القداحة مضيناً وجه ويدَي سرسولوت . وشَعْرُ
القنديل يبدد حلكة الظلام بقصوة وارتجاف . ووشوش رابوليُو :

ـ هيا ! الى الأمام ... ولا تنسِ الجبل يا برازية .

ولم يلبث رنين الجبل حتى شوش رهبة الصمت وساعد على
اختفاء خجنة وقع أقدامهم على الأرض . سرسولوت يسير في
المقدمة ، وعن يساره برازية ، ووراءها على بعد مترين تقريباً ،
مشى رابوليُو وقد وضع بندقيته على كتفه .

من الواضح ان قلوبهم زادت في الخفقان عند اندلاع أول
شعاع من القنديل وعند اول صدى لرنين الجبل . وكان
سرسولوت أحسن بشيء من الضيق فأسرع يفك أزرار قميصه

رَابُولِيوُّ

فيصبح أكثر حرية وطوعية . وكان يسير حيث الخطوات رافعاً القنديل فوق رأسه مبدداً الظلام بوساعة لا مثيل لها . أما بولازيه فلم يكن أقل اجتهاداً من رفيقه والبرهان على ذلك أن زين الجاجل لم ينقطع ثانية واحدة .

رابوليتو يتفحص الأرض حيث يلمع ضوء القنديل بهبطة واجتهاد وانتباه ، دون أن يأبه للأشواك تلسعه أو لبعض الحجارة تتصدمه .

وبحافة لمس بولازيه كتف سرسولوت بصمت . فامتد ضوء القنديل واستقر على دائرة لا يتحرك ، فإذا أرنب يجمد في وسط تلك الدائرة . بدا صوفه أصفر تحت وطأة الضوء ، إلا أن رأس ذنبه ظهر أكثر بياضاً من الثلوج . وتقدم سرسولوت وهو ما يزال يسلط الضوء على الأرنب وسار رفيقاه وراءه . واستطاعوا أن يميزوا عين الأرنب المضاء بشفافية كأنها فراشة مشتعلة ؟ نسمات تمر على صوفها فتحرّكه بنعومة وارتجاف .

— دورك يا بولازيه ! اسرع !

رَابُولِيُو

واندفع بجسمه الضخم يرتفي فوق الحيوان الصغير . وسمعت ضجة تحطم فقار . وسقط الارنب في جوف الكيس .

وظهرت لهم عشرات من الارانب كانت تجحد اذا ما شعر حوالها الضوء . هي تتشابه في جودها : عيون مدوره حمراء ، آذان منتصبة ، أجسام منبسطة على الارض ، وجَل كأنه الشلل يحول دون أية حركة وهرب . وجاهد بربازيه يرتفي فوق الحيوانات ويرميها في الكيس . ولكن احدى الارانب كانت اكثرا براعة من بربازيه فاستطاعت ان تحييد من طريقه ...

ونظر كل واحد الى رفيقه وتفاهموا وصمموا ... آنذاك رفع رابوليyo بندقيته وأطلق الرصاص . خفت دويّ شديد امتد بعيداً جداً بين طيات الظلام . وخافت قلوبهم في صدورهم وأحسوا بحاجة الى الحذر والتنبه ... وعاد رابوليyo يطلق العبارات النارية فيها أخذ يزاولهم ارتعاشهم الاول .

هم يسيرون صامتين حذرين . يقوم كل واحد منهم بعمله بتلقائية ودقة ونظام كأنهم رجال واحد وعقل واحد . إنها فرقه

رَابُولِيوُّمْ

متاجنة متناغمة ؟ صياد واحد له أذرع ستة ورأس واحد يفعمه التروي والحنكة . سرسولوت دائم الحركة لا يتواهى في تسليط ضوء القنديل على الغابات العائمة . وبين فترة وأخرى ينحني ويمُّ عن الأرض حيواناً يناؤله ببرلازية . ويقوم بحكل ذلك دونما ترثٍ وتوقف ؟ ثم ان جلجل بولازيه ما انقطع أبداً عن الرنين .

رابولي يطلق العبارات عقب كل تسليط خوه . بين النهر والغاية توالى دوي العبارات مبدداً رهبة الصمت ...

وتابعوا طريقهم خلال دوي الرصاص وفي غمرة الضوء المرتجف المسلط في كل جهة . وعند احد المنعطفات أو قفهم ريف أجنهة سرب من الحجلان صرעה رابولي واحداً واحداً ، وسرعات ما استقر في الكيس يزيد من غبطة القناصين الثلاثة . وغنموا اربع ارنب عند منعطف طريق بوشبراند . وحينذاك انفرجت الساء أمامهم صوب الشرق وبدت عن يمينهم السوڤاجير .

رَابُولِيُو

واستطاعوا ان يشاهدو اياً كوخ بوشبراند القابع تحت شجرة
كرز برّي وارفة الظلال متداًلاً الاغصان . وسأل سرسولوت :

— هل تذهب الى الكوخ يا رابوليyo ؟

— نعم . ولكنني لن أبقى فيه وقتاً طويلاً . وأنهأتوجّها الى
الفرت فهو غير موحد الباب ، وبذلك تستطيعان ملة القنديل
زيتاً ...

وحسب الاتفاق مع فلورا دقَّ رابوليyo خمس دقات على باب
الكوخ . فأسرعت فلورا تردّ :

— هذا انت ؟ رابوليyo ؟

— أجل . ولكن ألم تشاهدني أحداً ؟

— لا . ما من أحد منهم في هذا المكان .

— وما هي الاخبار ؟

رَابِّ الْبَوْمَنْ

— لا جديد عندي منها .

— أما زلتِ تذكرين ما اتفقنا عليه فيما لو حضروا؟

— نعم ... نعم ...

وانطلق صوت يقول من جوف العتمة :

— أنا أعلم شيئاً مهماً .

وعرف «سوري» حالاً ببعض اتزاعاج وتضاييق . وبسرعة
جنونية ومهارة فائقة كانت قد أضحت أمامه وجهًا لوجه .
وراحت تعلن بوثق :

— النواطير في الخارج على بعد خطوات زهيدة . إنهم في
الجهة المقابلة في بواسابو ، على الطريق الموصى إلى القناة . ومن
الجائز انهم يتوجهون إلى هنا الآت . فقد سمع دوي عبارات
متتابعة في شانتوفان .

رَابُولِيوُّ

وهرول رابوليتو الى الفرن حيث كان رفيقاه . ولما وصل
وحياناً نظر اليه سرسولوت ودلّ على « الشيطانة » وسأل :

– بربك ! أخبريني من أين خرجت ؟

فأسرع رابوليتو يجاري عوضاً عنها :

– لقد سمعت جلبتنا من شانتوفان وانتظرت حتى نصل الى
هذا ... أنيأتني ان التواطير يحومون في هذه المنطقة وانهم قد
سمعوا دوي انطلاق العبارات ...

– ما العمل بعد الآن ؟ سأله الرجلان .

– ليس لنا إلا الذهاب .

وبالمحنة بصر كانوا يسرون في اتجاه بوزيدان وقد تخاشعوا
السهل ... من جهة الغدران ... ففهم ان الجئوا الى الفرار
قطعوا القناة بواسطة جسر مالقو ... وتابعوا الانحدار يدورون

رَابُولِيوُمْ

حول غابة الصنوبر . وترى رابولي يستعيد أنفاسه ورمي نظره
إلى الوراء فإذا ببيوت المزرعة تخفي ناماً . وهمس :

— هيا ! أخي ، قنديلك يا سرسولوت .

وشع الضوء حالاً فيما راحت الارانب تهرب بارتعاش
وتعرج على مساحة الحقل كلها . وعاد من جديد بإطلاق العبارات
وبدأت الارانب تتكون في كيس بزلازيه الكبير الذي كان
قد افرغ محتواه في بوشبراند .

ومرت نصف ساعة من ذهب على القناصين الثلاثة . ودخلوا
إلى منطقة غدير ما القو ثم مشوا في طريق صاعد بين الغدير والمر
العربيض الواسع . وخلأ خرب بزلازيه بيده كتف سرسولوت
وتحمس :

— قف ! فقد استشعرت دنو خطراً !

— انت محق ، فهناك أصوات وجبلة أقدام وراءنا ...

رَابِّ الْبُوَفِي

وأسرع الضوء يمتد على تلة بوزيدان كلها فإذا بضعة رجال
جادون في اثرهم .

— هيا يا رفاق ! ليس امامنا الا الهرب والفرار .

— الى جسر مالقو حالاً وبدون ترثث .

وسرعان ما أطلق القناصون أرجلهم للريح وهم يستفسرون
بين لحظة وأخرى :

— ما هو عددهم يا ترى ؟

انهم ثلاثة او اربعة من الرجال .

— سلطة الضوء على عيونهم حتى يعتريهم الحسر .

وبقي الرجال يلحقون بهم دوناً هوادة وكلل . وتهيا لهم ان
المسافة بينهم تتقلص رويداً رويداً ، فجذدوا العزم وعدوا
بسرعة لا مثيل لها من قبل . وأشارفوا على الجسر بعد ان

رَابُولِيوُّ

اجتازوا الطريق الصاعد الذي يحاذى القناة . وعند أحد المنعطفات كمنوا يتربون الجديـد من الحوادث . وقال لهم بـرلازـيه :

— حـالما يـرـون من هـنـا ، فـلـذـهـبـ تـوـا إـلـىـ الغـابـةـ ثـمـ نـسـلـكـ طـرـيقـ الـأـوـبـيـتـ ...

وبـعـدـ لـحظـاتـ مـعـدـودـةـ صـرـخـ رـابـوليـوـ :

— إـلـىـ الـهـرـبـ مـنـ جـدـيدـ أـيـهاـ الرـفـاقـ !

وـكانـواـ وـهـمـ يـرـكـضـونـ يـصـغـونـ إـلـىـ صـوتـ اللـيلـ وـرـاءـهـ ؟ـ ثـمـ اضـحـتـ آـذـانـهـمـ صـمـاءـ عـنـ سـاعـ أيـ صـوتـ .ـ ويـبـدـوـ أـنـ الرـجـالـ الـذـينـ يـلـحـقـونـهـمـ أـخـاعـواـ آـثـارـهـمـ .ـ وـسـأـلـ بـرـلاـزـيهـ :

— هلـ أـسـطـعـتـ انـ تـيـزـهـمـ فـتـعـرـفـهـمـ ؟ـ

وـانـفـجـرـ غـضـبـ رـابـوليـوـ بـالـفـاظـ مـتـقـطـعـةـ وـقـالـ :

رَأْبُولِيُّونْ

.. عرفت بيفوتوا اقصر رجل في شرط سانت-هوبير ...
وفيرمان من السوقاجير ... وبوريل الحقود ... آه ! يا للحيوانات
القدرة ... ولينغلار اين هو ؟ لا بد انه كمن يتربص ويترصد ...
انه شرك نصب لنا ... لقد كنا موضع خيانة ...

-- من هو ذلك المئيم الذي فعل ؟

-- آه ! من هو ! ..

واستبدلت به صورة «سوري». وشدّ على قبضتيه بغضب
وحقد . وزجّر بأنفاس متقطعة :

-- خنفس ... قذارة ... حية سامة خبيثة ...

. هذا هو الجسر . قال برازير .

وأصبح الطريق أكثر تصعیداً وأوفر حجارة وعقبات .
وسرعان ما شاهدوا حاجز الجسر المطلي بدهان ابيض . فوقف
رسولوت ونفع على القنديل فأطفاء بحدة وترفة .

رَابُولِيُوْنِ

وَفَجَأَةً ظَهَرَتْ لَهُمْ فِي جُوَانِبِ الْجَسْرِ أَشْبَاحٌ دُجَالٌ فَصَرَخَ
رَابُولِيُوْنِ :

اَهْرَبُوا وَلَيَتَدْبِرُ كُلُّ وَاحِدٍ نَفْسَهُ وَمَصِيرُهُ .

وَالْحَمْدُ لِرَسُولِهِ أَوْلَادُهُ تَبَعَّهُ رَابُولِيُوْنِ وَبِرَلازِيهُ . وَلَمْ
يَقْطُعوا سُوَى بَضْعَةِ امْتَارٍ حَتَّى اَنْهَالَتِ الضَّرَبَاتُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ
اَقْسَى مِنْ حَجَارَةِ الصَّوَانِ . كَمْنَ لَهُمْ بَضْعَةُ رِجَالٍ عِنْدَ أَسْفَلِ
الْجَسْرِ ...

وَرَاحَ رَابُولِيُوْنِ يَعْتَرُكُ عَلَى الرِّمَالِ مَعَ اَحَدٍ حَرَاسِ بَوَا سَابُو .
وَمَارَ الدَّمْ حارِّاً سَاخِنًا فِي شَرَائِينِ القَنَاصِ فَكَالَّذِي يَضْرِبُ
بِقُوَّةِ غَرَبِيَّةٍ وَعَزْمٍ عَجِيبٍ ...

وَطُرُقَ مُسَامِعُهُ صَوْتٌ يَسْتَنْجِدُ بِهِ وَكَانَ قَدْ اَنْتَصَرَ وَاضْجَى حَرًّا
طَلِيفًا . فَانْدَفعَ لَا يَمْيِيزُ شَيْئًا فِي الْحَلْكَةِ وَطَفَقَ يَضْرِبُ حَتَّى
تَخَدَّرَتْ قَبْضَتُهُ وَاصْبَحَتْ كَأْنَهَا مُشَلَّوَةً لَا يَمْسِّ بِهَا .

وَفِي لَحْظَةٍ لَيْسَ مِنَ الزَّمْنِ طَوَقَتْ ذَرَاعَانِ قَوْيَيَانِ خَاصِرَيِّي

رَابُولِيوُّ

رابوليوا وضغطتنا اخلاعه بوحشية ولؤم وحقد ... انه بوريل
يرفده ما يعتلج في صدره من حقد موتور وغضب مسحور ...
وتآلت في رأس رابوليوا أفكار كثيرة وألام لا تخص وحرمانات
لا توصف ... وشاهد ستيلا تتخبط في الجميعها ... فرفع قبضته
الحديدية وقد اترعتها قوة وقسوة حسراته وهجرانه احبابه واحزان
حياته ، ورمي بها على رأس بوريل فإذا هو بعض التراب ...
وتناول منه البنديقة وشج بكتعبها ذلك الرأس الذي طالما
نغض عليه الحياة ... وعاد يستذكر دوي تلك الطلقة التي أردت
ستيلا في تلك الليلة النحس ، على طريق الاوبيت ... وكانت
الشرط ها لهم مصير بوريل فتراجعوا ...

وبجأة ارتفع رأس بـ لازيه وصرخ :

— ماذا تنتظري يا رابوليوا ؟ ! هيا اطلق الرصاص ...

ثم حان دور سرسولوت فزمجر وقال :

— هل انت جبان ؟ ! اطلق الرصاص حالا يا رابوليوا ...

اقتله ... وليمت شر ميتة ...

رَابُولِيُونْ

وبدون ان يضيعوا دقيقة واحدة أسرعوا يهربون . ولكن
برلازيه حذر قائلًا :

— إنهم يتجمعون من جديد على الجسر ... أطلق النار
يا رابوليوا لا بد لنا من المرور منها كلف الأمر ...

وضغط رابوليوا على الزناد فانفجرت طلقتان قويتان جدًا .
إذ ذاك سمع صوت لينغلاير يردد :

— الى الجسر ! ... تجتمعوا هناك ولا تدعوه هم يهربون ...

وانطلق القناصون يختفون تحت الجسر فاربعوا في المياه
الباردة التي غمرتهم حتى الصدور ... وسرعان ما اجتازوا النهر
إلى الضفة المقابلة فانخرطوا يختبئون في صمت غابة كثيفة ...

twitter @baghdad_library

القِسْمُ الْتَّرَابِ

١

شيء تحرّك في الحفرة . اتزاح غطاء الشوك رويداً رويداً .
ورفع رأبوليورأسه وأجال نظره يسرى الجوار بحسرة وامتعاض .
عيناه السوداوان اللتان تضاءان دوماً بحيوية حادة بدأتا بعد
الآن لا تخلدان الى اي هدوء . في نفس اللحظة تنتقل نظراتهما
من هنا الى هناك وتنشران في كل جهة تفحصاً دقيقاً حذراً .
لحيته نبت قامة ، كثيفة . وقد أضفت قساوة على وجنتيه .

رَابِّ الْبَوْلِيُّونَ

خلف قبعته المهللة خصل شعر رطبة تخفي نصف أذنيه ؛ ومع ذلك بيتي جلده يحتفظ بلونه الطبيعي ، ذلك اللون المفعم حرارة يسببها اندفاع دمٍ نقيٍّ جريء الحركة .

واستوى حالاً يبعد عن أسماله الاشواك العالقة . عساليج العليق تصدمه على مدى طولها ثم لا تثبت حتى تهوي الى الارض ببعض الضجة . وعندما اضحي خارج الحفرة أعاد وضع العساليج وغطى المطرح الذي خرج منه . ثم اندفع مثل احد السكواسر مبعداً عنه ما علق من اوراق واسواك .

لا شك انه نام اكثر من المعتاد ، لذلك راح يسير حالاً بخطوات حثيثة متخصصاً كلّ جهة وكل مطرح . مشى في شباب ضيقه متعرّجة في الغابة الكثيفة بخبيب صامت منتظم متتابع .

وتهلل يتفحّص المنطقة من جديد بتتبّه اكثراً وحذر اقوى . وما لبث حتى عاد يمشي فبلغ حفرة يشرف عليها كثيب من الرمل . فوقف هنئه يستعيد الانفاس ويتأمل الجوar ثم شرع يتقدّم

رَابُولِيُّو

بتؤدة في حادثة الكثيب مستشفياً آثار الاصدام والقوائم المختلفة. واستطاع بيسيرٍ كثير ان يستدل على الحيوانات التي مررت قبله من آثارها : هي دلق وظرب في الأغلب . واحياناً كان يتآخر مستطلاعاً فوهات الجحور المظلمة . اخيراً وقف يرثاح في فسحة الأجرة وجلس على جذع سنديانة . لقد كانت المنطقة وفسيرة الجحور والأوجار والحيوانات على اختلافها .

أشعة الشمس تخترق الأجرة فتسيل متلازمة على الجذوع المضرة بالأنسجة الرطبة . جلس القناص ساهماً ورمى الكيس عن كتفه . انه يضن بذلك الكيس فهو دائم التحرك والت Morrow .

في ذلك الكيس نس اخرجه رابوليتو حتى يتأمله ، وراح يمر راحته بلطف وغنج في نعومة صوف الحيوان الرمادي . واستوى وسار خطوات زهيدة حتى بلغ حافة احدى الحفر فاستلقي على الأرض التي لا فارق بين لون اسماله ولون ترابها ورملها واغصان الشجر اليابسة المنتشرة هنا وهناك . تعدد على الأرض بـ كسل

رَابُولِيوُّ

وَخُولَ وَارْتَقَ الْتَّرَابُ وَمَا فَيْهُ حَتَّىٰ هُوَ فِي أَعْمَاقِ تَأْمِلٍ
صَامِتٌ رَّهِيبٌ ...

انتظم تنفسه وتحدرت اعصابه حتى اصبح لا يحس بوجود الكائنات حوله . هو يستعطي الحياة الآن من افكار مشتتة ومن خيالات وأشباح تقدفها دنيا الاحلام ؛ حياته في تلك الساعة تشبه جزيرات في بحيرة متراصة الاطراف . هي الليلة الخامسة التي يلجأ فيها الى عتبة السهل ينتظر الحاسكة حتى يذهب الى كوخ بوشراند . ومثل باقيالي ، امام المسافة الالية ، اجتازت كيانه الذكريات والرؤى التي خلعت عنها الفساوة والفظاظة وانقلبت رخوة بطيبة ، لا تخلو من حسرات وغموم وتشاؤم .

حياته مليئة بالأخطار والمشاكل والمفاجآت . هو الذي رمى بوريل على الارض بعد ان ضربه على رأسه بالعصا . وهو ايضاً الذي حطم ركبة بيقوتو ، واطلق العبارات المدوية التي أساءت كل الاساءة الى سكون تلك الليلة ورهبتها ... وجملها ... أيسستطيع رابوليوا ان يفعل كل ذلك ؟ ... شهور ثلاثة انقضت حتى الان ...

ونذكر هروبه في الماء الذي غمره حتى صدره وببل بطنـه واستطالـه حتى المنكـبينـ . ومن حـسنـ الحـظـ انـ المـاءـ لمـ يـكـ عـمـيقـ القرـارـ ؟ إذـ لمـ يـحـتـاجـواـ الىـ السـبـاحـةـ هوـ وـ بـرـلـازـيهـ وـ سـرـسـولـوتـ . كانواـ يـتـقدـمـونـ عـلـىـ مـهـلـ وـ بـيـسـرـ رـغـمـ الـحـشـائـشـ الـتـيـ كـانـتـ تـلـتصـقـ

٣٤٠ . . .

ثلاثـةـ اـشـهـرـ ! ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ انـقـضـتـ حـتـىـ الـآنـ ! ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ كـامـلـةـ وـهـوـ يـعـيـشـ فـيـ الغـابـاتـ مـثـلـ ذـئـبـ كـاسـرـ مـخـيفـ . مـسـافـاتـ شـاسـعـةـ وـغـابـاتـ لـاـ تـحـصـىـ اـجـتـازـهاـ . وـكـانـ يـجـدـ أـنـيـ اـنـجـهـ غـابـةـ يـخـبـيـ فيـ ظـلـامـاتـهاـ وـخـفـايـاهـاـ . هـوـ لـاـ يـنـامـ فـيـ الغـابـةـ اـكـثـرـ مـنـ لـيـلـةـ وـلـاـ يـخـبـيـ فـيـ حـفـرـةـ اـكـثـرـ مـنـ يـوـمـ وـاحـدـ . وـكـمـ مـرـةـ غـرقـ فـيـ سـباتـ طـوـيلـ سـحـيقـ اـشـدـ اـسـوـدـادـ اـمـنـ الموـتـ .

كانـ يـنـهـضـ مـنـ النـوـمـ عـنـدـ غـيـابـ الشـمـسـ وـيـصطـادـ اوـ يـغـزوـ سـواـهـ . وـاحـيـاناـ كـثـيرـةـ يـنـبـطـحـ عـلـىـ فـوـهـةـ وـجـارـ دـوـنـاـ ضـبـرـ وـسـأـمـ كـأـنـهـ قـطـةـ فـيـ صـبـرـهـاـ ، وـقـوـاهـ كـلـهاـ مـتـرـبـصـةـ لـلـامـتدـادـ وـالتـلـقـفـ ...

مـنـذـ ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ ماـ وـقـعـتـ عـيـنـهـ عـلـىـ بـشـرـ وـلـمـ يـرـهـ ايـ اـنـسـانـ

رَابُولِيوُنْ

ولم يجدَت اي مخلوق . اكتفى بالحديث مع ذاته وهو ماش
يستطيع سماع صوته الرجولي .

وما اكثر ما قادته افكاره الى بوشبراند وتعلق قلبه وخفق
في كوخ فلورا . هو ما زال يتذكر ضمائر الظلال والجسد الحار
يتمواج بين ذراعيه ... فلورا لا تفارق رابوليوا ابداً فهو يشتاقها
في كل لحظة بحنين وشره ... وفي ذلك المساء ازداد شوقه
وطفي ...

وعندما بدأت النجوم تلمع على صفحة السماء ، راح يهروي
نحو بوشبراند . وما هي إلا دقائق معدودة حتى كانت فلورا
تفتح الباب

٣

تضاعف تردد رابوليتو على كونه بوشبراند والتقاؤه فلورا عند هبوط الظلام . يضي سحابة نهاره في غابة السوقاجير وإن ابتعد أحياناً حتى شانتلو وترمبليو فيف . لذلك لم يعمد أبداً إلى اجتياز حدود البوفرتون الشهالية أو تحطيمها .

هل هي بوشبراند التي تجذبه حيث رائحة الجسد في الطابق الأرضي وضمة فلورا واعتصارها اللاهب ؟

آلامه وأحزانه تزداد يوماً بعد يوم ولا يجد إلا الغابة يتناسى في مطاويها بعض همومه وأوجاعه . فهناك صفات السوقاجير وأجراءات السنديان المتكثفة وكلها مثل خماد التزيز من جراحاته .

نحن الآن في بدء الربيع وقد بدت تباشير الشمس الدافئة وشرعت الكائنات تستعد لاستقبال الفتوة والشباب . أغساق

رَابِّ الْبَلْوَةِ

من غير تنشر لأمد طويل في الاجواء والآفاق . وفي الليالي الصافية الساء كان اصرار فاتر لطيف يتحدى على الأفق طوال الليل وحتى انبلاج اخواه بدر جديد .

لم يهجر رابولي الصيد والقنص إذ عليه ان يتذمّر طعامه . وأضحت القبابات الآن اكثـر سـرية وأيسـر سـيـلاً الى التـسـرـ والـخـفـاءـ بعدـ انـ اـخـضـرـتـ الـاـغـصـانـ وـاـشـرـأـبـتـ الـأـمـالـيـدـ وـمـدـتـ الـفـسـائـلـ رـؤـوسـهاـ نـحـوـ الـعـلـاءـ . ثمـ قدـ سـهـلـ عـلـيـهـ تـدـبـيرـ طـعـامـهـ فـقـدـ اـخـذـتـ تـبـتـ الـفـطـرـ الـوـرـدـيـةـ حـوـلـ جـذـوعـ الصـنـوـبـرـ اوـ بـيـنـ الـحـشـائـشـ . وـكـثـيرـاـ مـاـ يـحـدـثـ لـهـ انـ يـسـيرـ بـتـكـاسـلـ وـخـوـلـ دـوـنـ هـدـفـ اوـ وـجـهـ مـعـيـنةـ . وـلـاـ تـنـيـ تـرـاقـفـهـ اوـ هـامـهـ وـأـحـزـانـهـ وـيـحـسـ الـفـرـاغـ يـمـلاـ حـيـاتـهـ وـيـتـضـاعـفـ يـأسـهـ وـتـشـاؤـمـهـ ثـانـيـةـ بـعـدـ ثـانـيـةـ . فالـشـعـورـ بـالـهـرـبـ وـالـتـسـرـ وـالـخـوفـ مـنـ النـاسـ يـلاـحـقـهـ وـيـعـذـبـهـ حـتـىـ عـنـدـمـاـ يـسـيرـ مـتـمـهـلاـ ...

ولـاـ تـطـفـيـ آـلـامـهـ وـأـحـزـانـهـ يـلـجـأـ إـلـىـ مـطـرـحـ يـقـعـدـ فـيـهـ ، فـيـرـميـ رـأـسـهـ عـلـىـ رـاحـتـيـهـ وـيـعـتـكـفـ عـلـىـ مـشـاهـدـةـ مـشـاعـرـهـ وـتـأـمـلـ

رَابِّ الْمُؤْمِنِينَ

إحساساته ويخاول ان يمسك اغوار حياته ويتفهمها . « ماذا في ؟ ماذا يحدث لي ؟ كل شيء يرددني وينخفض آلامي ، وكل مطرح اجد عنده اخفاء والملجأ الامين ثم ها ان الجفون تبت في يدي وتحت نظري . وعندي بيت ولدي سقف يحمي لواردت ... هل ينتابني الفزع احياناً وهل أحس بخطر وجود بوريل ؟ » وأحس بدور راضنا وهو يلفظ ذلك الاسم ...

حتى الصيد اضحي لا يجد فيه إلا زهيد المسرات ونادر التسليات . لم يعهد قلبه يتحقق لمرأى ارب او تدرج كما كان يحدث له في الايام السالفة . وطفق يشي دوغا هدف بخطوات متئافلة بطينة ساحقاً بقدميه الاوراق الجافة والغضون المتتساقطة غير عابٍ، بأي شيء في الغابة .

الأمسيات تلتقيه فائز الهمة متداعي المقصد والأهداف وتجزجه في بحراها مثل ورقة جافة . وهناك فترة ، كل مساء ، حيث ينتشر ضوء الشمس ويتمدد فوق الأغصان . ثم تعقبها فترة أخرى يبدو فيها ذلك الضوء كأنه يتراجع ويتحدر نحو

رَابِولِيُو

السهل كالجزر . آنذاك يقتفي آثار الضوء ويتنتقل معه حيثاً ذهب
وأتجه بطوعية واستسلام .

الهواء يهب "المعتاد والمعنى غير" على رؤوس السبابيل
المستحصدة في المروج باطف وحدز . وفي البعيد سبلتان
شاختان تهاسان بدعة ونعومة وسكون . هما تهاسان وتقول
الواحدة للأخرى أشياء كثيرة . وأحسن " انه اضحي مثل هاتين
السبيلتين ارتعاشًا وانفراداً وتحقيقاً . وشردت افكاره وتأكد
له ان في هذا المكان فقط ناس " سبلتين بجانان وسوق وسعادة .

منذ زمن طويل جدًا لا يزال رابولي يصعي إلى الممس
المفصح المعبر المعم بألف معنى ومعنى . ذلك الهمس الذي
يتضخم ويسيطر ويسمعه دوي " غابات الصنوبر يداعبها الهواء ،
وصدى توج صفحات الفدران وهدير السد" المفتوح . السو فاجير ،
بوشيراند ، الفدران والأشجار لا تزال هنا وهناك كما عرفها
وشاهدها دوماً؛ كذلك الأسماء في السوقي ، والضفادع في
الآخر ، هو يعرفها حيواناً حيواناً وساقيه ساقية وعشبة عشبة

رَأْيُ الْبُوْلِ

كما في أيامه الأولى ومنذ راحت عينه تتمتع بجمال الحياة . وأخذت الصور تتالب في رأسه بوفرة مستبدةً حتى أنها غمرته . وعلى قدر تراجع النهار امام اشباح المساء كانت احلامه وخيالاته تكتسي رهبة اكثر وخشوعاً وورعاً : هو الان يسمع بوضوح خفقان قلبه .

كان قد لعب في المروج بين النجيل ، وركض وتسلى ولم يترك شيئاً ينمی حيويته ويعذی حواسه إلا وجربه وتدرب عليه ... وتم : « هذه هي حياتي . فعلت في كل شيء كما يفعل ويتصرف سواي من الناس . كبرت وخدمت في الجيش . ثم تزوجت عندما حان الوقت وتوفرت السانحة . وماذا حدث لي ؟ بدأت أروح الى الفساتين اقطع الصنوبر وأصطاد الأرانب او اقصص مثل الآخرين . ومثل غيري رزقت اولاداً ... »

في بيته صغار ثلاثة هجرهم وابتعد عنهم . كل مساء ، في نفس الساعة ، عندما تخف اضواء الشمس يوح يراقبها بصمت ويتابعها بحسرة وهدوء . وكل مساء ، كانت الأضواء تميل نحو

رَابِّ الْبُوَرْدَةِ

الشرق وتجر جره حتى طريق الاوبيت . ولما شاهد الطريق للمرة الاولى تداخله نوع من الذهول والخيرة . وحالاً قفز الى الجادة الحجرية واندفع فيها شاعراً بالقوة والصلابة تفيس من ظهره وما لبث حتى غادر الغابة في ملء الضوء ...

أوقفه رنين مفاجئ . هي عربة البقال يجرّها حصان يصعد رويداً رويداً في تلة بوزيدان . وتوقف لحظة ثم تراجع بمحذر وتهلل وعاد الى الغابة من جديد . وفي العد كان دور بقرات بواسينو وأغاني الراعي الذي يقودها ونباح الكلب المفاجئ الذي يحرسها . وفي المساء التالي صوت دوران دواليب على الطريق ، افزعه وضاعف خفقان فؤاده وأرغمه على الفرار بحثة وبسرعة . وهكذا لم يخل اي مساء من خطر وتحسب فهو لا يكاد يخرج من الغابة حتى يسير في سهل مكشوف من جهاته الأربع ، وعليه ان يختار ما يقارب كيلومترتين قبل ان يصل الى القناة وحوراتها اللزيرة الضخمة . واعتاد من كثرة التكرار ان يقضي ليلته وينام في الحفرة . وتتصاعد من داخله نفس الأحسيس وذات

كابولیون

الاندفاعات فتملاه برودة هي بالجليد أشهى . ولكن تلك البرودة
ما تلبث حتى تستحيل حماساً وانتفاضاً وحرارات لا ترحمه ولا
تذيقه طم الراحة والهدوء . ويتأمل الطريق صاعداً منحدراً ثم
ذاهباً نحو القناة والجسر فبيته . جسده ثقيل جداً على الأرض
وكل خطوة من خطواته يتبعثمها .

تروّجت 'مثل الآخرين ... ورزقت' اولاداً ... وينادي
محاذراً ان يصغي الى خفقات فؤاده ، ومتزحداً ارتجاف ولادة
الحرروف العجيبـة : «سندريـن ... سندريـن ... ». ذلك الاسم
كان قربـه ، ومحاطـاً بأسمـاء اخرى : «ادمون ... ليونار ...
سيلقي ... ». صوته يتـنقل من اسم الى آخر «آه ، يا سندريـن !

هو الطريق ذاته لم يتبدل ومحارته لم تتغير، يقوده رأساً الى بيته هناك ... ليس امامه إلا ان يركض حتى يدخل بيته فيجد حياته كلها ، حياة الطفولة والفرح والسعادة : من السوق اجير ومروج بوقرون حتى الغدران وغابات الصنوبر ومناطق الصيد الخلوة ثم سندرين زوجه والصغرى الثلاثة ...

رابولبو

«لماذا يا رابولبو؟ لماذا حدث لك وفعلوا بك؟» كان يشاهدهم من خلال زجاج شفاف! هذا هو وجه سندرينا التحيل، المصفر قليلاً، ورقبتها الحنيمة وعيناهما الحزينةتان في الغالب... وهما هم الصغار أيضاً: ادمون برأسه المدور، وليونار الذكي جداً، وهذا هي المحافظ المرمية على الكرسي ثم سيلقي بيدهما النحيفتين وأناملها المدنة التي تستطيب مداعبة شاربيه. انه يعيش في وسط ذلك العالم الحلو دون ان يستطيع مشاهدته... وفي إحدى الامسيات عقب حياة من التشرد والتفرد طويلة ها هو يلتقي أولاده واحداً واحداً ويتمتع بنظراتهم الحقيقة...

بيته يقع على حافة الطريق، بناية عتيقة ذات سقف من القرميد الاحمر. الساعة ما زالت باطارها المزخرف تعلو الصندوق وتتوسط الجدار...

لا يفصله عن بيته إلا ذلك الطريق الذي يذهب في سهل مكشوف واسعاً عارياً، من الصعب عليه اجتيازه ساعة يريد. لا بد من ترقب حلول الغلام حتى يصل الى القناة والجسر...

رَابُولِيوُنْ

فالبيت حيث سندرين والأولاد . ولو خاطر رآه الناس ودأوا عليه بالأصابع فائلين : « هذا هو رابوليتو ... نحن رأيناه ... » ولا شك ان بوريل سوف يسمع ويعرف وحينذاك تتجدد المتابع وتبدأ المعارك ...

كان في الماضي يعزّي ذاته بقوله : « لا تهتمّ يا رابوليتو واذهب ». أما الآن فقد تبدل كل شيء فقلبه أضحى مشدوداً بقوة إلى هناك ! إلى بيته . فيشاهد سندرين تتولى اعمال البيت وحاجاته ، وادمون وليونار يذهبان ويرجعان من المدرسة . وموتننان هناك تصلّي ونورين تحوك الصوف ... وتروشوت يقدم النبيذ الفاخر لروّاد المقهى ، هاشاً باشًا اقتصادي الارانب على عتبة قبوه اذا ما حان نصف الليل وخلا الطريق من المارة ...

« مَاذا فعلوا بك ؟ ». قد بدأ كل شيء عند تروشوت بضربات متواالية على الباب . وبعد ان فتح تروشوت هرب رابوليتو صادماً بوريل . في كل مرحلة من مراحل تعبه ونفيه لا يجد امامه إلا بوريل ! أليس هو الذي أجبره ودفعه إلى هجران

رَابُولِيوُّ

بيته وزوجه وأولاده ! ورمى به في اعماق الغابة وبوبشتراند والسوقاجير ؟ ! وما يلبث يلاحقه ولا يسمح له ان يجتاز عتبة وادي البوقرن ... بوريل مسؤول عن كل الذي حصل له ... هو عدوه الحقوق المدود ...

وشرع رابوليyo يضعف وتنتابه حمى الفكره القاصمه الموجعة ولأول مرّة عراه النصب وذاق بوأكير اليأس . فقد تخفي عليه ساعات وساعات وهو قاعد على جذع شجرة فارغ العينين فاتر الاعصاب منبطحاً بدون حرراك مثل الاموات ...

وخلأة سمع وراءه وقع اقدام فاستوى يستعد للهرب ولكنه أصفع الى حوت تورنيفيه وهو يقول بعد ان اخذ يربط الكلب الى جذع الشجرة :

— ما كنت أظنّ اني سوف اراك ! ... يا تلك الصدقة !

وصمت رابوليyo حزيناً مفموماً ثم سأل :

— قل لي كيف سندرين ؟ ... والصغرى ؟ ...

رَابُولِيوُنْ

— الجميع على أحسن ما يرام .

وانفجر رابوليyo يبكي بصوت عالٍ وقطع أنفاس . آنذاك
تقدم منه تورنيفيه وربت على كتفه وزفر :

— يا للمسكين ! ... هدى من روحك وتبجلد ...

ثم جلسا على جذع الشجرة وقد رمى رابوليyo رأسه على راحته
دون ان يكف عن النشيج الذي يحطمها وينقضضه حتى اعمق
أعماقه . ومدد تورنيفيه ذراعه يلفتها حول عنقه وارتज عليه امام
مشهد المؤثر ...

ومن خلال دموعه استطاع رابوليyo ان يقول :

تألمت كثيراً ... ومررت في الا هوال الكاسحة ... اصغ ،
يا فرمان ... أنت الانسات الاول الذي يقع عليه نظري منذ
شهور ... أجل ! منذ شهور لم أر أحداً ... أحقاً أنت بجانبي ؟
أكاد لا أصدق عيني ... إذا كنت تودّ الذهب فلن امنعك ...

رَابُولِيوُمْ

ولكن ابقَ عندِي وقتاً أكثُر ... آه ! يا فرمان ، لو
كنت تعلم ! ...

وزاد أيضًا :

— هل هم بصحَّة جيدة ؟ ... وهم دائِمًا في الْبَيْت ؟ ووالدِي ؟
وتوراي ؟ أخبرني عنهم كلَّهم ... قل لي كلَّ شيء ... فأنا مائت
منذ أشهر عديدة ! ...

وسرد تورنيفيه كلَّ ما يعرِفه : « عند رابوليُو ، في الْأَوْبَيْت ،
وعند موتنان لم يتبدل شيء . صحَّة الجميع جيدة رغم ان السعادة
غير متوفرة كما يحب . كثيرون رثوا حالة سدرین المادية فمدوا
لها يد المساعدة والمسخاء ... »

كان رابوليُو يصغي اليه جامداً ذاهلاً . يداه وقد تركتا وجهه
مرميتان الآن على ركبتيه . عيناه تحدقان بشروق بالأشواك التي
أممه . وكفاه تهزها بين آونة وأخرى تأوهات وحسرات
مكبوته ... وسألَه تورنيفيه أخيراً :

رَابُولِيوُّ

— ماذا تنوّي ان تفعل الان ؟

وتعلّم رابوليyo اليه ورفع يديه ثم تركها تسقطان
برخاؤه وأجاب :

لست أدرى يا فرمان ... قل لي وسوف ارضخ لأوامرك
وابشاداتك ...

وأدّار الحارس عينيه وتكلم بسرعة لا تخلو من ضيق
وحزن ، قال :

— عليك أن تهاجر من هنا . غادر هذه البلاد دوناً تردد
وتأخير . مصلحة اولادك وزوجك ومصلحتك انت تقضي عليك
ان تفعل ما اقوله لك . حياتك اضحت صعبة هنا وبدونفائدة .
كنت أود ان ابلغك ذلك منذ وقت طويل ولكنني كنت اشعر
بأنك لا تتمتع بمحالتك الطبيعية ولا سلطنة لك على مشاعرك
وأحساسك وعقلك ... اسرع واحزم امرك فإنك لست بالرجل
الرديء الشرير ... اذهب يا رابوليyo ولا تسوق ...

رَابِّ الْبَوْمَةِ

وكان رابوليتو يستمع اليه حانى الرأس محدقاً في الاشواك
أمامه . ودونا حرفا نظر الى الحارس بعين تتجلىج فيها صلاة
وتضرع وتتوسل وقال :

— سأذهب يا فرمان ... أجل ! سوف اذهب ... ولكن
أريد قبل كل شيء ان اراهم وأقبلهم وأودعهم ...

فصرخ تورنيفيه متوججاً :

— ماذا تقول ؟ !

— أريد ان اراهم وبعد ذلك اذهب ... أريد ان ارى
سندرلين والصغرى ... أريد ان اراهم ...

وبداً كمن ينفض عنه بقایا حلمٍ مزعجٍ . فتألقت عيناه وحام
فوق وجهه ابتسامٌ جامدٌ غريبٌ . وأحسَّ تورنيفيه بعظمـة
وروعة الالفاظ التي سوف يقولها فقاطعه بحقنـق :

— ما أشدّ غباوتك ! أنت تريـد ! أنت تريـد ! إنك تتصـرـف

رَابِّ الْبَلْوَةِ

كأنك صاحب السلطان الوحيد ... وكأنك صاحب الأمر والنهي ! ... ولنفرض أنهم لا يريدون ... وأنهم ما زالوا حاقدون عليك ...

فجمجم رابوليوك حقيراً محظياً :

— آه ! كل ذلك اعرفه جيداً ... لا شك أنها تخدع عليّ ...
والحق معها في كل ما تفعل . جبذا لو أصفيت إلى نصالحها ! ...
ولكن ساعدني يا فرمات حتى أراهم هي والصغار الثلاثة ... لا
أريد أن أبدو أمامهم ، بل أكتفي بمشاهدتهم من بعيد ... من
بعيد ... قل لهم أن يحضرروا إلى عندك في يوم أحد . ستسر " تازى
بزيارتهم لها . وتخرجون إلى الحديقة وأكون أنا حينذاك مختبئاً في
العلقة ... واستطيع هكذا أن أشاهدهم وأصفي إلى صوت
سندرلين وهي تتحدث مع تازى . وأشاهد خصوصاً سيلقي تنقل
خطواتها الثقيلة ... المتقلقة . قل لها ان تجلب معها سيلقي ...
آه ! ... ومن بعد ، أعدك بأن أغادر البلاد حالاً بدون
رجعة .

رَابِّ الْبَوْمَ

— ولكن لو علمنا أني التقىتك أتعلم أي شر يلحق بي وإلى
أي مأذق حرج تدفعني؟

— أرجوك ان تصفي الى آخر عبارة أود ان اقولها لك :
أتري هذه البقعة هنا وهذه العلقة . سأحفر هنا حفرة صغيرة
وأحيطها بالحجارة حتى لا تفطها الرمال ... هنا ضع رسالة منها.

وأخذ يحفر الحفرة وهو يردد :

— راقب الجوار حسناً حتى لا تنسى المكان ... والحفرة .
عد خطواتك منذ جذع شجرة الكستناء ... سأمر من هنا
كل صباح ...

وغادره تورني فيه مسرعاً وهو ما يزال يحفر في الارض
والدموع تنهال غزيرة من ماقبه ...

٣

عندما عثر رابوليتو على الرسالة ، في صباح أحد الأيام ، لم يفتقها حالاً . واحتاز غابة السوق بغير بطوفها كله ومشى على طريق الأوبية والرسالة في يده .

كان ذلك في صباح أحد أيام شهر توز وقد افعمهه أضواء شمس دفينة فاترة ، سرعان ما بحثت قطرات الندى عن الأعشاب والخشاش والأشجار . جوّ صافٍ لا اثر فيه للغيوم والضباب .

ولما وصل رابوليتو إلى الطريق وأشرف على السهل فضّ الرسالة . كانت مكتوبة على ورقة مربعة سطّرت بالخبر الأزرق . ولم تكن نازية هي التي خطّتها كما ظنّ ، بل سندرين نفسها . وقالت سندرين :

رَأْبُولِبُوك

« احمد الله ان تازى قد حضرت الى البيت . لست ادرى اين ستمسلم رسالتي ولا أسعى الى معرفة ذلك المكان إذ من الاكيد اني لن اذهب اليه . المهم في نظري ان تقرأها وتعلم الاشياء التي احب ان تعرفها . وبذلك اود ان اطلعك على اني لا اعرفك بعد الان . الالام التي تجشمتها من اخطائك لا تطاق ولا يتصورها اي مخلوق . ومنذ البداية طلما رجوتكم وبكيت ولتكن دوننا جدوى وبقيت متشبثاً بعنادك راكضاً وراء جهالتك . وكنت اعلم علم اليقين أن في كل ذلك ضياعك وضياعنا ولكنك كنت تضمّ أذنيك عن سماع توسلي ونصائحى وتطبق عينيك عن رؤية دموع استرحامي وما يتهدّد دني ويتهدّدك انت خصوصاً من بؤس وحقاره . كنت كمن يشعر بالرطوبة في لسانه بينما هو يلحس المبرد ... وكم مرة نبهك والدي فلم تسمع ! يكفي ان يخطو الانسان الخطوة الاولى حتى تهون عليه الثانية والثالثة ... وذلك ما حدث لك وحدث لنا معك . من حسن الحظ ان الناس ليسوا مثلك واستطعنا ان نجتاز الشدة ونسلم ، وبعد الدعوى التي أقيمت ضدك بدل ان يدفع «السيد» مبلغاً

رَأْبُولِبُوْز

من المال تكفيراً عما اقترفت يداه شيخ وبطر ورفض ان يستسلم . لماذا لا ؟ فالقيادات سوف يرمي بنظرات الإكبار والإعجاب ... هناك رجال كثيرون يستسلمون ليكفروا عن خطأ ارتكبوه ، مضحين في سبيل الأبوة والزوج وسعادة العائلة . أما انت فأولادك لا يهمك أمرهم ومصيرهم وسندرین كذلك لا شأن لها عندك . يا للمسكينة سندرین ! هل تدرك مدى تلويعي وحسريني وأوجاعي ليلاً نهاراً ! تبأّها من مكافأة ! ورغم كل ذلك تحاول الهرب والاختفاء حتى لا أراك ... حقاً ! لقد أخطأت في تقديرني إياك . ولن تنفعك بعد الآن ألفاظك المعسولة وعواطفك الكاذبة ... زد على ذلك انك عوض ان تخضع للقانون وتراعي متطلبات العدالة ، أقدمت في لحظات سوداء وحطمت رأس رجل شريف أخلص لوظيفته والتنظيم العام . ثق أن شعورك لن تنطلي اسرارها عليّ بعد هذا اليوم . هل تستطيع ان تصوّر شدة ألمي وأنا اراك شريداً جائعاً مقروراً ... بدون بيت يحميك ويشعّب السعادة والمهدوء في أيامك وليليك . وأنا ! لقد تعبت كثيراً حتى اتدبر أمور البيت

رَابِّ الْبَلْوَةِ

والصغر وأجتاز الشدائد ، وأؤكد لك أن قواي هجرتني ونصل
لون جمال الشباب في ناظري ... وانت لا تنفك " تقتني أساليب
الابتها في المنطقة كلها دون ان تدرى أن سوء تصرفك
سينقلب وبلا وشرأ على عائلتك في يوم من الايام ... ما ذنب
الملائكة الصغار وذنبي أنا يا رابوليyo ؟ ثم انك حرّ ان تتردد
على كوخ بوشبراند إذ هناك المرأة التي تلقي بك ، المرأة التي
تبיע جسدها القذر لكل رجل ... لا شك انك زهقت من الحياة
معنا فعمدت تبحث عن السعادة عند عائلة أخرى ! ... ماذا
ينفعك ؟ قولا وميلوريو في السجن وأنت حرّ طليق ان تتمتع
وفقا هواك ... وبعد قليل سوف تلقي الجزاء الذي حلّ بوالدك
من قبل ... ووالدتك كم هي مسكينة ! إنها تستدعى الشفقة
والرحمة ! ... آه ! يا رابوليyo ، حبذا لو قضيت في الحرب فارها
كان في ذلك شرف لك . أقول لك ذلك بجزن لا شيء له ولكنها
الحقيقة الفجة المؤلمة . ولا أظنّ والدي يخالفني في الرأي ...
قسوت عليك ولم أرحمك وكانت مرغمة ان اتصرف هكذا بعد
عودتك الى مراغة بوشبراند . أستحلفك اذا كانت لك نطفة من

رَابُولِيو

قلب ان تتركنا نعيش في هدوء وسلام . صرت اخسّس بقاباً
تجلدي كلما تأملت الصغار ... الملائكة ... يتأمّل الأب ! ...
أتركنا يا رابوليyo فلا قوة لي بعد الآن حتى تحملك ... كفانا
الله فهو خير معين لنا ! ولتكن مشيئته ... أطلب منه النعمة
والأيدى حتى أنساك الى الابد . أنا اعلم ان كل ذلك عندك من
التوافق والقامات ! ... وآخيراً، يؤلمني جداً ان أصارحك بأني
أتفى موتك ! ...

« من لا تكفيها كل ساعات حياتها
حتى تلعن اللحظة التي عرفتك فيها ». .

كان رابوليyo قد قرأ الرسالة دون ان توقف . أنامله التي ارتجفت
في البداية جمدت الآن . هل هذه الرسالة من سندرين حقاً ؟
وسندرين هي نفسها التي كتبت كل تلك الاسطراط المليئة ظلماً
واحتقاراً وقسوة فؤاد ! وهل جلست الى الطاولة في البيت حيث
الصغار ينامون !... أجل ، سندرين من كتب كل كلمة في الرسالة
فقد استشعر حقيقة ذلك : ولكنها تبدلت وأرغمت كأن احد
الناس حرّك يدها فوق الورقة البيضاء .

رَابُولِيوُّ

لا افتراه ولا تحامل في الرسالة كلها . كل الشر الذي تلصقه به قد سببه واقترفته يداه : لقد اطلق النار على الرجال عند جسر مالقو ؛ حطم ججمة بوريل بعضاً بندقيته ؛ حتى مراغة بوشبراند وقد ارتداها ... هي الحقيقة . تأمل وجهك يا رابوليyo ! إنه وجه مجرم ، والد قاسي القلب ، جلاد لأعز الناس عنده . قد صرت باعت احتقاراً وذلةً للشرفاء من ذويك ! ... هي الحقيقة تتلمع بين سطور الرسالة كلها ... صورة لا يأس بها يستطيع الناس ان يفخروا بها ! ... ثم يسأل بعضهم عوضاً ويشيرون بالأصابع مستفسرين : « من هو هذا المجرم ، العاق ؟ ، الحيوان ؟ » ويحبب الجميع بدون استثناء : انه رابوليyo .

نعم ، هو رابوليyo ؛ رابوليyo الذي يجتاز السهل بخطوات وئيدة امام اعين كل الناس . الحصادون يملأون السهل والفالحون ينكبتون على عملهم هنا وهناك . على التلة المنحدرة نحو بوزيدان عمال المزرعة يقصدون الزرع الوفير . ويتبع رابوليyo سيره دون انتباه او تسخّر من فضول النظارات . انه يمشي في لهب الشمس المحرق الساطع . ولع بواسينyo يخرج من بين الحورات حاملاً في

رَابِّ الْبَوْلِيُّونَ

يده سطلاً من المياه الباردة . ويتوقف كمن يحاول الاختفاء من شدة الدهشة ... ولكن رابولي يتابع طريقه بدون ان يلتفت.

على جسر القناة تراجع قليلاً وترى ث حتى يفسح مجالاً لعربة الفران . ويتوقف الفران ويتأمله بدھش وفضول واستغراب ...

لم يتنه شيء عن متابعة سيره كأنه أحد لا يراه ولا يفطن الى وجوده . وظهر له بيته بعد اول منعطف يلي القناة . وتهيا له انه يعود الى ذلك البيت مثل باقي الناس ... وعلى بعد عشرة أمتار من بيته تصاعد غبار مررت فوقه عجلات ، لا شك ان الفران قد عاد ... وبعد خطوات زهيدة جداً دفع الباب ودخل الى بيته ...

٤

امتنع لونها فيما عينها مشدودتان الى وجه ذلك الرجل وقد شدّت صدرها بيديها . صدمة الفجاءة منعت عنها التلفظ بكلمة واحدة . وتكلم رابوليوا اولا فقال :

— ها انت ! ... ها انت يا سندرين !

وأغلق الباب وتقدم الى الداخل دوت ان يقترب منها . وكانت جالسة على كرسي قرب باب الحديقة . واستوت منتفضة مشدوهة عندما دخل رابوليوا وتسمّرت في مطرحها . ولكنها تشعر بحسرة فاسية مبيدة تشدها نحوه ، وبرغبةٍ جاححة في نفس الوقت ، لتواري من امام وجهه . وخاطبها بوداعه :

— لا تخافي ! لم احضر للصراخ او للأوامر ... أتيت فقط

رَابُولِيوُّ

حتى تقولي لي من جديد ما صدر عنك في هذه الرسالة التي في يدي ، ولكنني أتأكد أنكِ انت نفسكِ من تطردني وتلعني ...

وبقيت صامتة ساهمة لا تجيز . على ارض الغرفة شعاع شمس يتراقص وقد تسرّب من النافذة . وببدأ الصمت الرهيب حول رابوليyo صرائح منعش خضه .

لم ينتبه لسيلقي الصغيرة عندما دخل . كانت مربوطة الى طرف السرير وقد انبطحت على الارض تلاعب أناملها النحيفة الناصعة ملقةً من خشب . وفترة رابوليyo :

— لقد كبرت الصغيرة ...

وقاوم القوة التي طفت تشدّه اليها وارتافق الطاولة جلوداً حامداً . وكان يقف قبالة باب الحديقة الزجاجي حيث تسلطت على وجهه ووجنبيه المفترتين أصوات كاسفة بينما التمعت عيناه وهما تسبران أغوار وجه سندرينا .

ثم مرّت به فترة طويلة جداً يفعّلها الحزن والتحسّر

رَأْيُ الْبَوْلِي

والأسى . فقد شاهد قرب السرير تأكلاً في البلاط ، هي الدعسات الأولى لكل من ادمون وليونار ... واستفسر :

— هما في المدرسة حتى الآن ؟

وأشارت سندرين بالإيجاب .

— إذن سوف انتظر عودتها ... هذا اذا رفضت لي ذلك يا سندرين .

وحينئذٍ مدّت سندرين ذراعيها وأخذت تصرخ باستغاثة :

— صفحًا ! صفحًا ! ما كنت اتصور أنك قد تجشمت الآلام بهذا القدر ! لن يدور في خلد أحد ان الشعور ما زال يتحقق في صدرك ! الناس كلهم هنا يسعون الى تحريرك في عيني وإلى تأريث نار الحقد في قلبي ضدك . هم يرددون أمامي : « كم تصبرين ! ... أما تنفكين مخلصة لذلك الرجل الساعي دوماً وراء أهوائه ورذائله وما تبقى في الحياة محقر عنده ؟ » وطالما عدّدوا

رَابِّ الْبَلْوَةِ

أحزاني وشدائدي ولا مسبب لها كلها إلا انت . آه ! يا رابوليتو
هي الحقيقة مع ذلك . بربك قل لي لماذا حضرت ولم تبقَ بعيداً
عنّا ؟ لماذا ستفعل بنا ؟ ما أشدّ ألمنا وحزتنا ! ...

كانت تبكي وهي واقفة مادّة ذراعيها تسترجّه او تحاول ان
تبعد عنّها مع كل الاحزان التي جلبها وسبّبها . أما هو فقد
داوم على تأملها بقلب شفوق وعطف يهزّه هزّاً عنيفاً .
سندرين ! سندرين ! هي ذاتها كما عرفها دوماً دونما تبدل ، دوماً
ضعيفة مذعنة ، مستعدّة ان ترضخ لأوامر صوت قوي وإرادة
رجولية . يا المفترسة المسكينة ولا سلاح لديها إلا الدموع .
ولكن مع الأسف ! ماذا تستطيع ان تفعل الدموع في حقد رجل
يرغب ويقصد ! ...

ولكن لا بدّ له من بلوغ الهدف واحتساء الكأس حتى
الثلاثة . والآن فقط أو ان بدء العمل الحقيقى . وبقي واقفاً يرتفق
الطاولة وقال :

رَابُولِيُو

— لقد عرفت كل شيء يا سندرين . تأبهوا وتضافروا حتى يضاعفوا حقدك على وبغضك . كان هدفهم ان ينالوا مني ويقبحوا علي في غياب السجن . ولما كتبت الرسالة وقف وراء ظهرك إنسان لم تنتبه له لوجوده .

وانتفضت ولكن رابوليyo تابع :

— هل أخبرت احداً أن تازى حضرت الى هنا ؟

— أخبرت والدي .

— ومن ايضاً ؟ عليك ان تعرفي بكل شيء يا سندرين . لا بد انهم تصدوني وفتشوا البيت والجوار بعد اعتراك مالقو ... أليس كذلك ؟

وجاء ارتعش رابوليyo من قمة الرأس حتى أخمص القدمين ... سمع صرير دوايب دراجة على الطريق في الخارج . فالتفت الى سندرين وقال بصوت امر قوي :

رَأْبُولِيْمُ

— اسرعِي واهري يا سندرين واحلي معك الصغيرة ...
إذهبَا عند توراي بدون تأخير ... الخطر محقق ساحق ...
ولكن لا تخافي منها حدث ... وقادها نحو باب الحديقة هي
وسلقى . ولما اجتازتا الحاجز وتوارتا وراهه عاد حيث كان أولاً.

وأنف بوريل يقف عند زاوية الطاولة . ويزع قسمات وجهه
بوضوح بعد ان شاعت فيها أضواء ساطعة . بوريل راح يتأمله
بسخريه وحقد . وجهه رابوأمو وقال :

— لا شك انك حضرت لتلقي القبض علىَّ . والفران قد
أنباءك بوجودي هنا ... واستعنت بدراجتك حتى تكسب المزيد
من الوقت وتكون أول من يقطف الثمرة ... وأظن أن بوسو
وداغوريه يتبعانك مثيأً على الاقدام ...

— هي الحقيقة ما قلت.

وتراجع رابوليتو خطوتين الى الوراء حتى استند على حافة المدفأة وبملحمة تناول شلف الحديد وصوبه بقوّة وحقد ووبح

رايوليو

الي بطن بوريل ... ورأى بوريل تضغط أحابعه على المسدس ثم يترنح ويهاوي على الأرض بعد ان انفرز رأس شلف الحديد في بطنه ... وتمدد الجسد غارقاً في التجمع مرتحني الأطراف ...

هي المرة الاولى يرى فيها رايوليو الدم ينزف : يسيل بسرعة من زوايا الطاولة ويكون بقعاً واسعة على بلاط الغرفة ...

وراح يتأمل ، خافض العينين ذلك المطرح حيث تجمعت الدم على الأرض ... وتمكمن فقد الاحساس والعقل :

— ما أطول ذلك ! هل سيجري الدم هكذا دوماً؟ وكان يترقب صرير الباب عندما سينفتح بعد لحظات ...

ولما وصل بوسو وداعوريه انطلقت من صدره زفات طويلة وتقدم نحوها ومد للأصفاد قبضته

المجزء المطبعة الوليسية - جونيه

طبع رواية رابوليyo

في السادس والعشرين من

تشرين الاول ١٩٦٧

الجامعة العربية